شرح آخر ترجمة من صحيح البخاري

ويليه

ختم الهمزية في السيرة النبوية للبوصيري

تأليف

شيخ الإسلام

أبي المواهب جعفر بن إدريس الكتاني

١٢٤٦هـ - ١٣٢٣هـ

تحقيق

رضوان أخرفي



مراجعة وتقديم

الدكتور الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني

دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان



ويليه

ختم الهمزية في السيرة النبوية

للبوصيري

تأليف

شيخ الإسلام

أبي المواهب جعفر بن إدريس الكتاني

١٢٤٦هـ - ١٣٢٣هـ

تحقيق

رضوان أخرفي

مراجعة وتقديم

الدكتور الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني

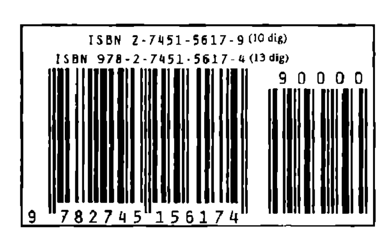


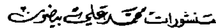
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

Title: **Šarḥ Āḫir tarjamah min Ṣaḥīḥ al-Buḫāri**
followed by: **Ḫatm al-Hamziyyah fī al-Sīrah al-Nabawiyyah**
Author: Ja'far ben Idrīs al-Kattāni
Editor: Raḍwān Aḫarfi
Revision: Dr. Muḥammad Ḥamzah al-Kattāni
Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah
Pages: 120
Year: 2007
Printed in: Lebanon
Edition: 1st

الكتاب: شرح آخر ترجمة من صحيح البخاري
ويليه: ختم الهمزية في السيرة النبوية
المؤلف: شيخ الإسلام جعفر بن إدريس الكتّاني
المحقق: رضوان أخرفي
مراجعة: د. محمد حمزة بن علي الكتّاني
الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت
عدد الصفحات: 120
سنة الطباعة: 2007 م
بلد الطباعة: لبنان
الطبعة: الأولى

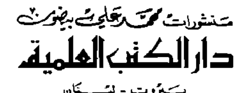






دار الكتب العلمية بيروت لبنان

الطبعة الأولى
٢٠٠٧ م ـ ١٤٢٨ هـ



Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
هاتف: ١٢ / ١١ / ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+ رياض الصلح - بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

بقلم الدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين..

أما بعد، فيسعدني التقديم لهذه الرسالة المباركة؛ شرح آخر حديث من صحيح البخاري، ويليها ختم الهمزية في السيرة النبوية للبوصيري، كلاهما من تآليف جدي الخامس شيخ الإسلام أبي المواهب جعفر بن إدريس بن الطائع الكتاني الإدريسي الحسني، المتوفى قدس سره سنة 1323، بفاس. والتي كانت قد طبعت بالمطبعة الحجرية الفاسية منذ أكثر من مائة وعشر سنوات، وهاهي الآن آن لها أن تظهر ليستفيد منها طلبة العلم والمثقفون.

لقد جرت عادة العلماء منذ القديم أنهم متى ختموا تدريس كتاب من الكتب العلمية إلا وعقدوا للختم حفلا كبيرا يحضره كافة العلماء والطلبة والعامة، يتحدث فيه العالم عن آخر حديث أو فصل من الكتاب المبحوث فيه، ويتعرض في ختمته لمباحث قيمة تتعلق بالعلم المبحوث فيه وما هو إليه من العلوم.

وكثيرا ما كان العلماء يستكتبون الطلبة، فيكون الدرس ارتجالا، وينسخه النساخون، ثم يبيضه المؤلف بعد ذلك، وقد يطبعه وقد يكتفي

بالاحتفاظ به. وكانت جلسة "الختم" تعد امتحانا للعالم ومثال أطروحة يقيم بها العلماء منزلته العلمية ووسع عارضته وقوة استحضاره وحسن فهمه في الميدان.

ومن أهم الكتب التي اعتنى العلماء بعقد الحفلات العامة لختمها: صحيح الإمام البخاري، الذي يعد عند المسلمين أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى القرآن الكريم، وذلك لما ضم بين جلديه من الأحاديث التي تزيد عن السبعة آلاف كلها صحيحة، وما ضمه من العلوم الجامعة، عقيدة وفقها، وقانونا، وآدابا وأخلاقا...إلخ، ومن علوم الحديث بمختلف أنواعها، والتصوف والتربية والمعارف...إلخ تلك العلوم التي لا تصدر إلا من شفتي خاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله.

فقد اعتنى المغاربة - كما المشارقة - بشرح هذا الكتاب، والبحث فيه، واختصاره، وتهذيبه، ودراسة رجاله وأعلامه، وختمه، وتقديمه، بما ظهر عنه المئات من المؤلفات التي ألفها العلماء على دور التاريخ المغربي.

وكان للعائلة الكتانية، وهي عائلة التجديد وعلوم الاجتهاد، والمحدثين والحفاظ، اعتناء كبير بهذا الصحيح، فقد درسوه، وشرحوه، وكتبوا في أسانيده، وختموه، وتحدثوا عن أسراره، وناقشوه، وانتقدوه...إلخ. وكان للزاوية الكتانية الكبرى بفاس اهتمام كبير بهذا الكتاب، بحيث كان مؤسسها الإمام أبو المفاخر محمد بن عبد الواحد الكتاني المتوفى بفاس عام 1289، قدس سره، يستقدم العلماء الكبار من أجل تدريس هذا الكتاب في الزاوية الكتانية، حتى ذكرت كتب التاريخ أن نجله جبل السنة والدين سرد صحيح البخاري بين قراءة وإقراء نحوا من ستين مرة، بحيث كان يستحضر أحاديثه كما يستحضر أصابع يديه.

وكان شيخ الزاوية من الناحية العلمية والفقهية شيخ الإسلام أبو المواهب جعفر بن إدريس الكتاني معتنيا بتدريس هذا الكتاب،

وتوضيح معانيه، وإعمال فقهه على الواقع، بحيث يذكر نجله شيخ الإسلام محمد بن جعفر الكتاني - قدس سره - أنه ختمه عليه نحوا من اثنين وعشرين مرة، كما ختم صحيح مسلم بمثل ذلك العدد، ويذكر حافظ الإسلام الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني - رحمه الله تعالى - في "فهرس الفهارس" بأن للشيخ أبي المواهب حاشية على الصحيحين ملأها فقها محررا، لو تمت لكانت آية في بابها...

وهذا الختم الذي بين يدي القارئ، يعد من ضمن الختمات التي ألقاها الشيخ أبو المواهب - رحمه الله تعالى - لصحيح البخاري رضي الله عنه، وهي ختمة تضمنت عدة أمور:

- شرح مفردات آخر باب من أبواب البخاري.
- شرح آخر حديث من أحاديث البخاري.
- فضل علم الحديث.
- ترجمة الإمام البخاري.
- ثم الخاتمة في الدعاء، وأطال فيها صاحبها بما يدل على روح إسلامية قوية واعتناء بالواقع خاصة فيما يتعلق بالكفار الذين كانوا يحيطون بالمغرب وينسجون الأفخاخ من أجل اصطياده واحتلاله.

وفي كل باب من تلك الأبواب، يستقدم المؤلف ما يتعلق بها من المباحث العقيدية، والفقهية، والاصطلاحية، والنحوية واللغوية، فهو كالبستان فيه ما لذ وطاب من العلوم والحكم والفوائد، وما تصل إليه يد القارئ من غرر البحوث ومستملحات الفرائد، مما يستفيد منه العالم وطالب العلم، ويجد فيه ضالته من شرح آخر حديث من أحاديث صحيح البخاري.

أحاديث يرويها السحاب عن الحيا عن البحر عن كف الإمام أبي بكر

فجزى الله أخانا طالب العلم المجد رضوان أَخَزفي، الذي بذل جهدا مشكورا في إخراج هذا العمل، وخدمته من حيث تخريج الأحاديث وترجمة الأعلام.

وقد عهد إلي بمراجعة هذه الرسالة، وعنونتها، فقمت جهدي بذلك، ولم أتصرف في حواشيه إلا عرضا.

كما ذيلتها بختم للمؤلف - رضي الله عنه - على همزية الإمام محمد بن سعيد البوصيري المغربي ثم المصري قدس سره، وهي ختمة مباركة، شرح فيها مؤلفها أبياتا من البردة للبوصيري نفسه، فيها من أفانين البلاغة، والاستشهادات الشعرية، والتفنن في المدح النبوي، والتلذذ في استخراج الكمالات المحمدية، بلسان جامع، بحيث يحق أن يتغنى بها في المجامع، وتتلى على رنات المسامع، ما يقف عليه القارئ، ويتلمس لطفه وعمقه في آن واحد. ولله در القائل:

رق الزجاج ورقت الخمر منظومة قواعد التفسير
فكأنما خمر ولا كاس وكأنما كاس ولا خمر

وقد كانت العادة أن البردة والهمزية يدرسان في مساجد المغرب وزواياه في شهر المولد المبارك، وكانت للدرس هيئة خاصة، من حيث كون المداحين يجتمعون، ويتلون طرفا من الأمداح النبوية، بالبردة، أو الهمزية، أو وتريات البغدادي، أو غير ذلك، بأصوات تهيج القلوب، وتطير العقول، وتسيل الجفون، حتى إذا انتشى الناس، وطابت نفوسهم، وسخنت قرائحهم، واشرأبت أعناقهم، كما قال القائل:

فإنا إذا طبنا وطابت نفوسنا وخامرنا خمر الغرام تهتكنا

ابتدأ الشيخ بشرح القصيدة، فيلج الناس في السيرة النبوية والكمالات الأحمدية، وقلوبهم مولعة بهذا النبي الكريم، وأذهانهم متعطشة لسيرته وأخباره، فينتج لهم بذلك الفضل الكبير، والدهق والروي من حب نبيهم، ومعرفة أخباره وسيرته وهديه صلى الله عليه وسلم وعلى آله.

يهيجنا ذكر الأحاديث عنكمُ ولولا هواكم في الحشا ما تحركنا

جعل الله تعالى في هاتين الرسالتين النفع العميم، وأوصل بمنه أجرهما وثوابهما لمؤلفهما، وجعلهما نورا له في قبره، وأنسا في وحشته، ولا

حرمنا من فضل ذلك، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

وكتبه

الشريف محمد حمزة بن محمد علي بن محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الإدريسي الحسني، غفر الله له ولوالديه بمنه وكرمه

الرباط الخميس 25 شوال الأبرك عام 1427

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، وجعل من معجزاته الأمانة وقول الصدق والصلاة والسلام على من بلغ رسالة ربه حتى آخر رمق. وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان من سائر الخلق.

وبعد، لم تقتصر نِعم الله وآلاؤه على تفضيل الإنسان على سائر المخلوقات فحسب مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾. (الإسراء: 70)، بل ما فتئت حكمة الله عز وجل أن أرسل سبحانه وتعالى الرسل، وبعث الأنبياء لهداية الناس في غلس الضلال وحلكته وانتشالهم من وهدة الغي ودركاته.

وهكذا، لا يلبث المتأمل للشريعة أن يقع بصره على ذلك الكنز الذي حبى الله به الإسلام ألا وهو الوحي سواء في سور القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة.

ولئن كان المفسرون قد أبلوا في العناية بكتاب الله بلاء حسنا، فإن المحدثين لم يدعوا وسعا إلا بذلوه، ولم يضنوا بجهد في سبيل العناية والاهتمام بالحديث النبوي الشريف وتمكين السنة مما تستحقه من باع.

يظهر ذلك من خلال الانكباب على دراسة كتب الحديث وشرحها واستخراج دقائق المعاني والأحكام منها.

ومن أهم كتب الحديث التي اشتغل المحدثون بشرحها نجد صحيح الإمام

البخاري فمنهم من تولى شرحه من أوله إلى آخره كالحافظ ابن حجر في" فتح الباري" والكرماني في "الكواكب الدراري" وغيرهما، وبعضهم شرح أحاديث معدودة ومنتقاة كما فعل ابن أبي جمرة في"بهجة النفوس" والقسطلاني في"جواهر البخاري" ومنهم من شرح بابا مخصوصا منه.

ومن أولئك مؤلفنا الإمام الشريف جعفر بن إدريس الكتاني رحمه الله، الذي شرح آخر ترجمة من صحيح البخاري. ولهذا لما عرض علي الأخ الذي سعدت بأخوته وزمالته الدكتور الشريف حمزة الكتاني فكرة تحقيق هذا الشرح المخطوط، وجدت في نفسي انشراحا لهذا الأمر. فبذلت كل ما في وسعي من أجل إخراج هذا الكتاب للانتفاع به، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

وصف المطبوع

اعتمدت في هذا البحث على نسخة مطبوعة على الحجر، والمطبوعات على الحجر كما هو معلوم قد طبعت منذ حوالي 100سنة وهي تعتبر في عداد المخطوط الآن. وعلى طررها (تعليقات) بخط المؤلف رحمه الله فيها تصويبه للأخطاء الواردة في المتن حيث يكتب رمز(خ) للدلالة على وجود خطأ ويثبت الصواب. ويكتب رمز(صح) للإشارة على وجود سقط، داخل المتن. كما يضع في الطرر عناوين الأبواب.

وكما هو معهود على الكتب المخطوطة فقد وجدت صعوبة في قراءة هذا المخطوط وإعادة نقله مما استدعى إمعان النظر فيه. واستفراغ الجهد لقراءته مع ما يتطلب أثناء ذلك من صبر وأمانة وهما ما هما.

والنسخة مكونة من ثمان وعشرين صفحة تضم الصفحة إحدى وعشرين سطرا.

عملي في التحقيق

قمت أثناء التحقيق بالرجوع إلى الكتب التي اعتمدها المؤلف، ومقابلة ما كتبه بما في تلك الكتب، وقد لاحظت اعتماده الكبير على شرح الحافظ ابن

حجر لآخر ترجمة من صحيح البخاري ضمن كتابه "فتح الباري".

ثم عملت على تخريج الآيات والأحاديث التي ذكرها المؤلف في المتن.

كما حاولت أن أترجم للأعلام المذكورين، ووضعت الكلام الذي لم يعزه المؤلف بين مزدوجتين، وحاولت قدر الإمكان أن أشير إلى مصدره.

ترجمة المؤلف[1]

اسمه ونسبه

هو أبو المواهب جعفر بن إدريس الكتاني، وينتهي نسبه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وسيدة النساء فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونسبه من أصح الأنساب الإدريسية، بلغ رتبة المتواتر من درجات النسب. قال العلامة أبو عبد الله محمد الدلائي في نظمه عن الأشراف، المسمى بجوهرة التيجان، حين ذكره آل الكتاني:

ومن فروع النسب الإدريسي   وغصن ذاك الجوهر النفيس
الكتانيون بذاك عرفوا   ودارهم من أرض فاس تعرف

(1) مصادر ترجمته: "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية" لمحمد بن محمد مخلوف (1/ 433) و"فهرس الفهارس" لعبد الحي الكتاني(1/ 176) و"إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع" لعبد السلام ابن سودة(1/ 365)، و"الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي" لمحمد بن الحسن الحجوي(02/ 307)، "الأعلام" للزركلي(2/ 122)، "التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين" لعبد الله بن العباس الجراري(2/ 299)، "فاس عاصمة الأدارسة" (ص78)، وما كتبه ابن حفيد حفيد المترجم الدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني حين ترجم له في مقدمة تحقيقه لكتاب "الداوهي المذهبية للفرق المحمية" للمؤلف.

نسبهم من أوصل الأنساب   سببهم من أوثق الأسباب
وفضلهم في الناس ليس يجهل   قد عذب الورد وطاب المنهل

وقد كُتبت في هذا البيت مؤلفات عدة أعظمها مؤلف المترجم رحمه الله "الرياض الريانية في الشعبة الكتانية ذات المزايا الشافية الكافية".

وتواتر العلم والصلاح فيهم طبقة بعد طبقة إلى الإمام المترجم رحمه الله تعالى ثم إلى هذا العصر. فمن أحفاده العلامة الشيخ حسن الكتاني فك الله أسره.

مولده ونشاته

ولد المؤلف رحمه الله في عام 1246هـ/ 1830م في مدينة فاس التي كانت تزخر بكبار العلماء والأئمة والصالحين حين ذلك.

حتى قالوا عن فاس بأن العلم يتفجر من حيطانها، وعامي فاس عالم خارجها.

وقالوا: "إن العلم بذره بالمدينة وزرع في العراق وحصد في مصر وطبخ في الأندلس وأكل في فاس"، وكانت نشأته في القرن الثالث عشر حين كثر الأئمة والمعتنون بالفقه خاصة، أمثال حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمي الذي قيل بأنه أدرك رتبة الاجتهاد، وابنيه الإمام محمد وكذلك المهدي بن الطالب بن سودة المري. والإمام الحافظ الفقيه محمد بن عبد الرحمان العلوي المدغري الحسني.

كما أنه عاصر بداية نكبة المغرب والعالم الإسلامي وتمزق وحدته وتكالب أوروبا عليه وأهل الذمة إلى قبيل الاستعمار في المغرب فعاش أهم فترات حياة المغرب الأقصى من جهة والعالم الإسلامي عامة وعاش أسباب الانحطاط.

طلبه للعلم

كان المؤلف جَدا لا يقرب اللهو منذ صغره، يخيط ليله بنهاره في طلب العلم والعبادة ولا يلعب مع الصغار منذ طفولته، منكبا على ما يعنيه، فحفظ القرآن وهو دون الحلم بروايات ورش وقالون وابن كثير، ومهمات المتون. وختم على شيوخه الكتب الكبار وكان له ولع كبير بالسنة الشريفة.

شيوخه

أخذ عن جلة من الشيوخ ذكرهم في فهرسته: "إعلام الأئمة الأعلام وأساتيدها بما لنا من المرويات وأسانيدها"[1]، منهم:

ابن عمه أبو المفاخر محمد بن عبد الواحد الكتاني الإدريسي الحسني. وتأثر به تأثرا كبيرا خصوصا في الاهتمام بالآثار وإحياء السنن وترك البدع.

والإمام أبو بكر بن كيران وعبد الهادي بن التهامي، ومحمد بن حمدون ابن الحاج صاحب نظم "مختصر خليل"، وأحمد المرنيسي صاحب كتاب "نظام العسكر".

ومحمد بن الطالب ابن سودة وأخوه المهدي، ومحمد بن عبد الرحمان المدغري.

وكذلك الإمام الحافظ عبد الله؛ دُعي: الوليد بن العربي العراقي الحسيني، والإمام محمد بن عبد الرحمان العلوي والإمام القاضي عبد الهادي بن عبد الله العلوي الحسيني والعلامة محمد بن سعيد التلمساني، وغيرهم.

ثناء العلماء عليه

قد ترجمه جمع كبير من العلماء في كتبهم وذكروا مزاياه.

(1) من جمع ابنه العلامة عبد الرحمن الكتاني، المتوفى سنة 1334هـ/ 1916م.

فقد وصفه خير الدين الزركلي في الأعلام بأنه: "فقيه المالكية في عصره"[1].

ووصفه علامة الحجاز المسند الكبير أبو الحسن علي بن طاهر الوتري بقوله: "لخمي الزمان وابن قاسم العرفان على أنه ابن عرفة عند من حققه وعرفه".

وقال العلامة المؤرخ عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة المري في كتابه: "إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع"[2]: "علم الأعلام المحدث المشارك المطلع الحجة الحافظ الولي الصالح، له ولوع بكتب السنة شغوفا بالرواية والإسناد".

وترجمه العلامة الإمام محمد بن الحسن الحجوي في "الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي" ضمن مشاهير المالكية، وقال: "الإمام الفقيه العلامة الورع الناسك الدال على الله بحاله ومقاله، النزيه في أحواله كان ناشرا للعلم، متحريا في دينه متقشفا في عيشه عاكفا على نفع الخلق، صارما في قول الحق، من أهل الشورى، المتفق على نزاهته وفضله". ثم قال: "كان من الذين إذا رؤوا ذكر الله وبالجملة كان من خيرة من أدركنا نزاهة ودينا عصمه الله من الدنيا وزخرفتها"[3].

وقال العلامة محمد بن محمد مخلوف في " شجرة النور الزكية"[4]: "العلامة العمدة، الفهامة المحدث النظار، الذي لايجارى بعلمه وفهمه في كل مضمار، بيته بفاس معروف بالصلاح والعلم والعدالة والسؤدد والجلالة".

وقال الشيخ عبد الحي الكتاني في "فهرس الفهارس": "وبقي مدة وعليه المدار في النوازل والأحكام.... إلى قوله...لا يحابي ولا يرابي ولا يداهن".

(1) (ج 2ص 122).
(2) (ج 2ص365).
(3) (ج1ص308).
(4) (ج1/ ص6).

ثم قال: "وقد ختم المترجم الصحيح-أي البخاري- بالزاوية الكتانية بفاس أزيد من عشرين مرة، كما أقرأ بها أيضا بقية الكتب الستة عدا ابن ماجه وأنجب عدة أولاد كانوا أطواد العلم، درسوا وخطبوا وأفتوا ونظموا ونثروا وحدثوا "[1].

تلاميذه

ممن أخذ عنه أبناؤه الأئمة الأعلام:

- أبو عبد الله محمد، صاحب "الرسالة المستطرفة".

- وأبو العباس أحمد، وأبو زيد عبد الرحمن العلامة المحدث، وأبو فارس عبد العزيز صاحب كتاب "إعلام أرباب الفكر بكراهية الاستئذان عند الذكر"، وأبو عبد الله الحسين الفقيه العابد الناسك. وكذا أخذ عنه أبناء أخته الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني وعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، والطاهر بن الحسن الكتاني وغيرهم من آل بيته. . . . .

وأخذ عنه الإمام شيخ علماء المغرب أحمد بن محمد بن الخياط الإدريسي الحسني، والإمام المهدي بن محمد الوزاني الإدريسي الحسني صاحب "المعيار الجديد"، والعلامة المحدث محمد المدني بن جلون، والعلامة محمد بن الحسن الحجوي صاحب "الفكر السامي".

والإمام أحمد بن محمد الرهوني، والعلامة الصاعقة أحمد بن الشمس الشنقيطي، والعلامة الكبير جمال الدين القاسمي. وغيرهم كثير من علماء المشرق والمغرب.

وفاته

بعد إصابته بداء السكري نتج عنه دمل كبير في ظهره وحرارة عالية، عانى

(1) (ج/1/ص186).

منها الأمرين ستة أشهر. وقد أخبر بنفسه عن يوم وفاته ونهى من البناء على قبره إذا مات وكانت وفاته رحمه الله تعالى، بفاس عشية يوم الجمعة حادي عشر شعبان سنة 1323هـ/ 1905م. واهتز لوفاته المغرب، ولما نعوه في مكة صلوا عليه صلاة الغائب، ولم يكن بها أحد من قرابته، لما له من طيب الذكر[1].

وكانت له جنازة قل أن شهدت فاس مثلها. ودفن داخل قبة الشيخ دراس بن إسماعيل في جنبها الأيمن بالنسبة للواقف على قبره من جهة رجله، وذلك بالقِبَاب خارج باب الفتوح[2].

ورثاه الشعراء والعلماء بقصائد كثيرة، وكانت خطبة الجمعة في جامع القرويين التي ألقاها العلامة أبو جيدة الفاسي الفهري رحمه الله، كلها عنه وعن رزء الإسلام في المصاب بالعلماء.

مؤلفاته

ألف المترجم كثيرا من المؤلفات قد قاربت المائة. وصفها العلامة عبد الحفيظ الفاسي بأنها "متقنة نفيسة"[3]. وهي على طريقة أهل فاس في الاعتماد على النقول وقلة الكلام فيها بناء على الورع. وقد ذكرها المؤلف في كتابه: "إعلام الأئمة الأعلام" أذكر منها:

1 - إعلام الأئمة الأعلام وأساتيذها بما لنا من المرويات وأسانيدها طبع على الحجر، ثم طبع طبعة ثانية بدار ابن حزم بلبنان، تحقيق الدكتور محمد بن عزوز، سنة 1425.

2 - إتحاف الطالب الحاذق اللبيب بما يحصل العلم الرطيب الرحيب. طبع على الحجر.

---

(1) "الفكر السامي" (ج 2/ 308).

(2) "إتحاف المطالع" (2/ 365).

(3) " رياض الجنة" (1/ 175).

3 - أمور تتعلق بشعر ذي الحجة والأضحية.

4 - الألبان المودعة في القوازيز في حكم الله في استعمال الحناطيز، وهو شيء كبير كانت النساء تغطي به رؤوسهن، وذكر فيه عدة شروط وأحكام تتعلق بحجاب النساء، طبع على الحجر.

5 - الآيات التمامات فيما يتعلق بالحمامات.

6 - أثر الخضاب بالحناء.

7 - إتحاف النجباء العشر بالجواب عن المسائل العشر.

8 - تأليف في "حديث إن الله يبغض أهل البيت اللحمين"، طبع بدار الكتب العلمية بتحقيق بدر العمراني، سنة 1424.

9 - تقييد فيما ورد في طلب العلم وفي آدابه.

10 - تأليف في حكم التدخين - في مجلد.

11 - تحفة بعض الجلاس النبهاء الحذاق الأكياس بما ينفي بحول الله الوسواس ويزيل الشك والوهم والالتباس.

12 - تذكرة لبيب الحي فيمن حفر قبره وهو حي.

13 - التحذير من خطة-أي مهنة- القضاء.

14 - جزء فيما ورد من الأحاديث في نهي الولاة والحكام عن الجور والتبغيض من ذلك.

15 - الحكم بثبوت شهر رمضان يعم بشرط عدم البعد جدا وأنه لا يثبت بقول المنجم.

16 - حكم الحكم العلام في دخول النهر والحمام.

17 - الدواهي المدهية للفرق المحمية، بحث في السياسة الشرعية. طبع مرتين، بتحقيق العلامة حسن الكتاني، والدكتور حمزة بن علي الكتاني،

بدار البيارق، وبدار الكتب العلمية.

18 - الدراك فيما يتعلق بالسواك، وهو كالموسوعة في السواك. طبع بتحقيق الدكتورة أسماء عجين، بدار الرشد بالرياض، سنة 1426.

19 - رسالة في الدعوة إلى الجهاد.

20 - سهام الإصابة لأهل الحرابة.

21 - الخابورا فيما يتعلق بيوم عاشوراء.

22 - العرايا فيما يتعلق بالضحايا.

23 - الغيث المدرار والسر العمار فيما يتعلق باسم النبي المختار المكتوب على صناديق النار (الكبريت) جرأة وجسارة من الفجار أعداء الله ورسوله الكفار.

24 - القمر المشرق المفلق على الثرثار المتمشدق المتفيهق، في شروط الاجتهاد والرد على من فتح بابه على مصراعيها.

25 - كتاب في حكم التقليد في العقائد.

26 - كتاب في أن جمع العشائين في المطر وارد عن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الأربعة.

27 - كتاب فيما يتعلق بسدنة الكعبة.

28 - المناصحة فيما يتعلق بالمصافحة.

29 - منتخب الأقاويل فيما يتعلق بالسراويل، طبع على الحجر، ثم طبع بدار الكتب العلمية سنة 1424، بتحقيق بدر العمراني، ضمن مجموع.

30 - مجموع خطب جمعية، كان يلقيها بجامع أبي الجنود بفاس.

31 - مواهب الأرب المبرية من الجرب في السماع وآلات الطرب.

32 - نزهة النسرين والحبق، في امتداد مختار المغرب إلى الشفق، طبع على الحجر.

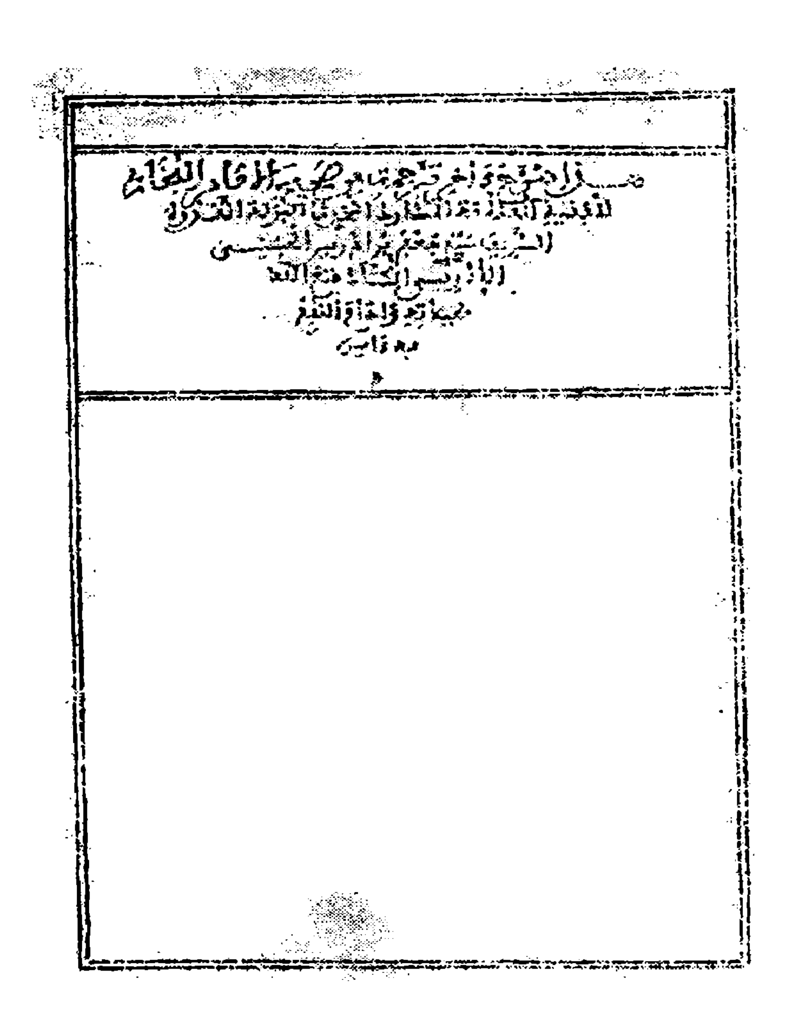
33 - نصح ملوك الإسلام في التعريف بما يجب عليهم تجاه أهل الذمة، طبع مع فتاوى للمؤلف في الموضوع، تحت عنوان "أحكام أهل الذمة" بدار البيارق بالأردن، تحقيق الدكتور الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني.

34 - النهي عما يعمل في المساجد من المنكرات والبدع ليلة27 رمضان.

35 - النزهة الكافية الشافية فيما هو حائل في الغسل وما ليس من تلك الناحية.

وغير ذلك من المؤلفات التي قاربت المائة.

الصفحة الأولى من نسخة المطبوع

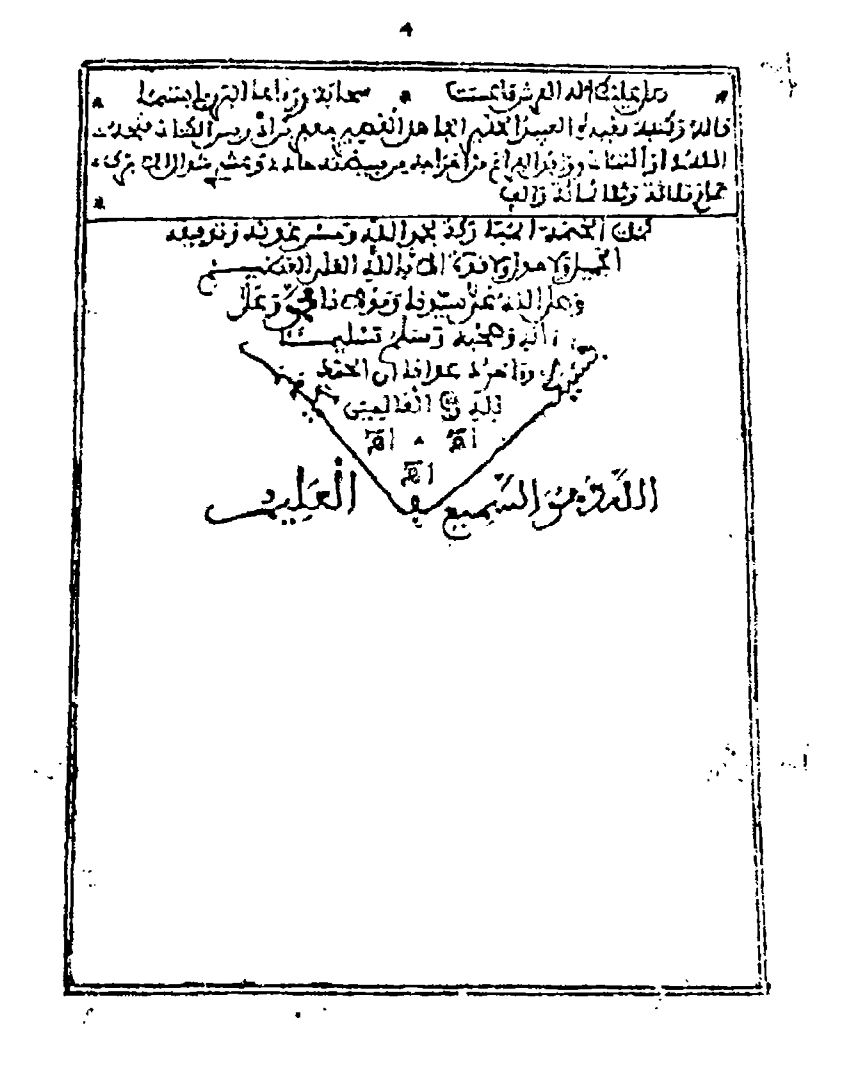


الصفحة الثانية من نسخة المطبوع

بسم الله الرحمن الرحيم • وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

[illegible]

الصفحة الأخيرة من نسخة المطبوع



[illegible]

تمت الخمسة أبيات بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه
الجميل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم تسليما
وآخر دعوانا أن الحمد
لله رب العالمين
آمين آمين
آمين
الله هو السميع العليم



تأليف

شيخ الإسلام

أبي المواهب جعفر بن إدريس الكتّاني

١٢٤٦هـ - ١٣٢٣هـ

تحقيق

رضوان أخرفي

عرض آخر ترجمة من صحيح البخاري

قال الإمام أمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري رحمه الله:

باب قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾

وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن. وقال مجاهد: "القسطاس: العدل بالرومية"، ويقال: القسط، صدر المقسط وهو العادل، وأما القاسط فهو الجائر.

حدثنا أحمد بن إشكاب حدثنا محمد بن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم".

وسلم: "تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي السفلى حتى تضرب سرته"(1)، أخرجه الترمذي وصححه.

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ [القارعة/ 5، 6]. ذات رضى أو راض صاحبها بها.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة/ 7، 8]. أي: فقد هلك، أو[مأواه](2) ومسكنه جهنم، أو [أم رأسه](3) ساقطة فيها.

وأخرج أبو داود(4) عن الحسن(5) عن عائشة(6) رضي الله عنهما أنها بكت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما يبكيك؟". قالت: "ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟". فقال رسول الله صلى الله وسلم: "أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم حتى

(1) أخرجه الإمام أحمدفي "المسند" عن علي بن إسحاق عن عبد الله بن المبارك (3/ 88)، والترمذي (4/ 109) في وصف جهنم، باب: ما جاء في صفة أهل النار (ح2713).

(2) في الأصل (مأويه) وهو رسم المصحف.

(3) معنى: أم رأسه؛ أي: دماغه. روي نحو هذا عن ابن عباس وعكرمة وأبي صالح (ينظر تفسير ابن كثير(4/ 544).

(4) سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، أحد الأئمة الستة، صاحب"السنن"و"المراسيل". توفي سنة خمس وسبعين ومائتين. له ترجمة في: "وفيات الأعيان" 2/ 404، و"معجم المؤلفين" 4/ 255.

(5) الحسن البصري أبو سعيد. كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه، ولد في المدينة سنة إحدى وعشرين. وشب في كنف الصحابي علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال الغزالي: "كان الحسن البصري أشبه كلاما بكلام الأنبياء، وأقربهم هديا من الصحابة". توفي بالبصرة سنة عشر ومائة. له ترجمة في "حلية الأولياء" 2/ 131، و"تذكرة الحفاظ" 1/ 71. و"الأعلام" 2/ 226.

(6) عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق. تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهي بنت ست سنين، وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع. ماتت سنة سبع وخمسين رضي الله عنها. لها ترجمة في "الإصابة" 4/ 948، و"تذكرة الحفاظ" 1/ 27.

يعلم أيجوز أم لا "[1]، وأخرجه الحاكم[2] وقال: "صحيح على شرطهما لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة"

معنى قولهم: "على شرط الشيخين"

والمراد بشرط الشيخين حسبما لابن الصلاح[3] والنووي[4] وابن [1] دقيق العيد[5] والذهبي[6]: أن يكون رجال ذلك الإسناد المحكوم عليه بأعيانهم في كتابيهما[7].

---

(1) ضعيف، ينظر "ضعيف سنن أبي داود" (ح 1018)، و"ضعيف الجامع" ح 1245. للألباني رحمه الله.

(2) إلا أن لفظ الحديث عند الحاكم: "وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم، حافتاه كلاليب كثيرة، وحسك كثيرة يحبس بها من يشاء من خلقه أينجو أم لا".

(3) أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري. ولد سنة سبع وسبعين وخمسمائة في شرخان من قرى إربل شمال العراق. له عدة مؤلفات في الحديث والرجال؛ منها: شرح صحيح مسلم، و"المؤتلف والمختلف من أسماء الرجال"، و"المقدمة في علوم الحديث". توفي رحمه الله بدمشق سنة ثلاث وأربعين وستمائة. ترجمة في "تذكرة الحفاظ" 4/ 1430. و"طبقات الشافعية" 5/ 137.

(4) أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي. كان إماما حافظا متقنا، شديد الورع والزهد، أمارا بالمعروف ناهيا عن المنكر، تهابه الملوك. مات سنة ست وستين وستمائة، له ترجمة في "تذكرة الحفاظ" 4/ 1470، و"شذرات الذهب" 5/ 345.

(5) هو الإمام الفقيه الحافظ الحجة، شيخ الإسلام، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع، صاحب التصانيف، وكان من أذكياء زمانه. ولي القضاء، ومات سنة اثنين وسبعمائة. له ترجمته في "تذكرة الحفاظ" 4/ 1481، و"الرسالة المستطرفة" ص: 180.

(6) الإمام العلامة المؤرخ؛ أبو عبد الله شمس الدين علي بن أحمد بن شان بن قايماز الدمشقي، صاحب "ميزان الاعتدال"، و"سير أعلام النبلاء"، و"المغني في الضعفاء"، توفي سنة ثمان وأربعين وسبعمائة. له ترجمة في "الدرر الكامنة" 4/ 236، و"شذرات الذهب" 6/ 143.

(7) ومذهب هؤلاء الأعلام هو ما فهموه من كلام الحاكم في مقدمة "المستدرك" حيث قال ما نصه: "وقد سألني جماعة من أهل العلم بهذه المدينة وغيرها أن أجمع كتابا يشتمل على الأحاديث المروية بأسانيد يحتج محمد بن إسماعيل ومسلم بن الحجاج بمثلها". ثم قال بعد هذا الكلام: "وأنا أستعين بالله على إخراج أحاديث رواتها ثقات قد احتج بمثلها الشيخان رضي الله عنهما أوأحدهما". "المستدرك" ص2و 3. =

= وقد اتجهت أنظار العلماء إلى عبارة واحدة في الفقرتين، وهي قوله: "بمثلها" أي: بمثل رواة الصحيح، والمثل في اللغة يطلق على الشبيه، أي: المغاير، وعلى الشيء نفسه. ومن فهم كلمة "مثل" انقسم العلماء في المراد بشرط الشيخين أو أحدهما إلى رأيين متعارضين، ورأي ثالث توفيقي:

الرأي الأول: أن يكون الحديث الذي لم يخرجه مرويا عن نفس الرواة الذين أخرج لهم صاحب الصحيح، وهذا الرأي - وهو رأي ابن الصلاح وابن دقيق العيد والذهبي والحافظ ابن حجر - قال ابن الصلاح في مقدمة "علوم الحديث" ص: 46 عند حديثه عن مستدرك الحاكم: "وجمع في ذلك كتابا سماه "المستدرك" أو دعه ما ليس في واحد من الصحيحين مما رآه على شرط الشيخين قد أخرجا عن رواته في كتابيهما".

وأما ابن دقيق العيد؛ فإنه يعارض تصحيح الحاكم للحديث بناء على أن فيه فلانا ولم يخرج له البخاري، و هكذا فعل الذهبي في "تلخيص المستدرك". وقال ابن حجر في "نزهة النظر" ص11: "ثم شرطهما؛ لأن المراد به: رواتها مع باقي شروط الصحيح"..

الرأي الثاني: اعتبر المتبادر من المثلية بأنها الشبه والمغايرة، ومن ثم؛ فالحاكم يقصد"بمثل رواتها" أي: مثلهم في أوصافهم التي تخيرها الشيخان، لا بالرواة أنفسهم، قال العراقي في نكته على مقدمة ابن الصلاح معقبا على كلامه المتقدم: "قوله: مما رآه على شرط الشيخين قد أخرجا عن رواته في كتابهما. فيه بيان أن ما هو على شرطها هو مما أخرجا عن رواته في كتابيهما ولم يرد الحاكم ذلك". ثم قال بعد كلام: "ولكن ظاهر كلام الحاكم المذكور مخالف لما فهموه عنه. والله أعلم". "التقييد والإيضاح" ص: 29 و30. وعلى اعتبار هذا الرأي قامت مدرسة نظرية عملت على استخراج أوصاف الرواة الذين احتج بهم الشيخان ليطبقوها على أمثالهم ممن لم يخرجا لهم.

الرأي الثالث: هو الذي يروم التوفيق بين الاتجاهين السابقين، وقد أصل لهذا الرأي الحافظ ابن حجر آخذا فيه بأعدل ما في الرأيين السابقين، وخرج من كل ذلك بما يصح اعتباره قاعدة يمكن أن تطبق بدون اعتراض على غالب الأسانيد التي لم يخرجها الشيخان، بصرف النظر عن تعليل الحاكم وعمله في "المستدرك". فإذا قيل مثلا: إن الرأي الأول يذهب إلى أن شرطي الشيخين هم: الرواة الذين أخرجا لهم. يضاف إليه من الرأي الآخر: أن لا يكون الراوي الذي أخرجا له مدلسا، ولا يكون من شرطها إلا إذا تحقق عدم تدليسه، وإذا كان الراوي قويا في شيخ وضعيفا في آخر؛ فلا يعتبر من شرطها إلا ما روي عن الأول. ولذلك قال ابن الصلاح: "إن من حكم لشخص بمجرد رواية مسلم عنه في صحيحه بأنه من شرط مسلم؛ فقد غفل وخطأ، بل ذلك يتوقف على النظر في أنه: كيف روى عنه وعلى أي وجه روى عنده؟". "صيانة صحيح مسلم" ص: 100. وما قاله عن مسلم ينسحب على البخاري، ومن ثم تطبيقها على الأسانيد بوجه عام. (ينظر: "محاولة إدراك معنى شرط الشيخين" للدكتور إبراهيم بن الصديق، "دعوة الحق" عدد: 347). =

وقال الحافظ أبو الفضل بن طاهر[1] في كتاب: "شروط الأئمة" أن شرطهما أن يخرجا الحديث المجمع على ثقة نقلته إلى الصحابي المشهور .

ولم ينقل عن واحد منهما أنه قال: "شرطت في كتابي هذا أن أخرج على كذا" ، لكن علم ذلك من كلامهما بالاستقراء والصحيح ما سلم لفظه من ركاكة ومعناه من مخالفة آية أو خبر متواتر أو إجماع، وكان رواية عدل. وفي مقابلته السقيم[2].

= وما قاله عن مسلم ينسحب على البخاري، ومن ثم تطبيقها على الأسانيد بوجه عام. (ينظر: "محاولة إدراك معنى شرط الشيخين" لإبراهيم بن الصديق، "دعوة الحق" عدد: 347).

(1) هو: محمد بن طاهر بن علي بن أحمد القيساني المقدسي، ذو الرحلة الواسعة، سمع بالمقدس ونيسابور والري ودمشق ومصر، توفي سنة سبع وخمسمائة. له ترجمة في "تذكرة الحفاظ" 4/ 1242.

(2) بهذا المعنى في "شروط الأئمة الستة" ص: 17 و18.

مرجحات الميزان

1 - من مرجحات الميزان: إتباع الحق ورجحان الموازين في الدنيا

وفي حديث أبي بكر لعمر رضي الله عنهما في وصيته له كما في "الكشاف" في سورة القارعة وأبي الحسن على "الرسالة" : "وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق. [وثقله عليهم][1] في الدنيا، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحسنات أن يثقل. وإنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة، بإتباعهم الباطل وخفتها في الدنيا، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا السيئات أن يخف"[2] الحق: دين الإسلام أو ما هو أعم. والباطل: دين الكفر أو ما هو أعم.

وفي تفسير الثعلبي[3] فيه أيضا عن أنس[4] "أن ملكا من ملائكة الله عز

---

(1) في الأصل المطبوع على الحجر "ثقلها" والصواب ما أثبته. وصححته ممن أورد الوصية.

(2) الوصية أخرجها العلامة الزمخشري في تفسير سورة القارعة 4/ 228، وأبو نعيم في "الحلية" عند ترجمته لأبي بكر رضي الله عنه 1/ 36، وأوردها الجاحظ في "البيان والتبيين" 2/ 45. وابن الأثير في "الكامل" عند ذكر استخلاف عمر رضي الله عنه.

(3) أبو إسحاق الثعلبي هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، صاحب التفسير، كان أوحد زمانه في علوم القرآن. توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة. له ترجمة في "وفيات الأعيان" 1/ 22، و"تذكرة الحفاظ" 3/ 1090، و"الأعلام" 1/ 212.

(4) الصحابي الجليل أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الخزرجي، أبو حمزة، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم. خدم النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، ودعا له. فقال: "اللهم أكثر =

وجل يوكل يوم القيامة بميزان ابن آدم فيؤتى به حتى يوقف بين كفتي الميزان، فيوزن عمله، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمعه جميع الخلائق: بسم الله؛ ألا سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا. وإن خف ميزانه نادى الملك: ألا شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا"[1]

وفي "الجامع الكبير": "[يوضع الميزان][2] يوم القيامة توزن الحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال حبة من خردل دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال حبة من خردل دخل النار"، قيل: "يا رسول الله؛ فمن استوت حسناته وسيئاته؟". قال: "أولئك أصحاب الأعراف؛ لم يدخلوها وهم يطمعون"[3]، ابن عساكر[4] في تاريخه عن جابر[5] "وفيه عبادة بن كثير الثقفي ضعيف".

= ماله وولده وأدخله الجنة". مات سنة ثلاث وتسعين، وقيل: سنة اثنين وتسعين. له ترجمة في "الإصابة" 1/ 74. و"تذكرة الحفاظ" 1/ 44، و"شذرات الذهب" 1/ 100.

(1) خرجه اللالكاني في "السنة" عن أنس مرفوعا، وعزاه ابن كثير في تفسير سورة المؤمنون (آية: 103)(3/ 322) إلى البزار والبيهقي، وهو ضعيف جدا، إن لم يكن موضوعا، في إسناده صالح المري وهو مجمع على ضعفه كما في "المجمع" (10-350)، وداود بن محبر، وهو ضعيف متروك كما في "التقريب" (1815)، هذا وإن جل أسانيد الثعلبي واهية.

(2) في الأصل: "توضع الموازين" وقد صوب المؤلف - رحمه الله - في الطرة هذه اللفظة بقوله "يوضع الميزان".

(3) ذكره ابن كثير في تفسير سورة الأعراف الآية (46) عن جابر، وقال: "هذا حديث غريب من هذا الوجه"، ثم ذكر بعض الأحاديث المرفوعة في أصحاب الأعراف، ثم قال: "والله أعلم بصحة هذه الأخبار المرفوعة، وقصارها أن تكون موقوفة". "تفسير ابن كثير" 2/ 275، وأخرجه خيثمة في فوائده، ولابن المبارك في "الزهد" عن ابن مسعود نحوه. وأشار المؤلف رحمه الله في الطرة بقوله: صوابه بدون خردل.

(4) أبو القاسم بن عساكر: الإمام الكبير حافظ الشام صاحب "تاريخ دمشق"، و"عوالي مالك"، و"غرائب مالك"، و غير ذلك. مات سنة إحدى وسبعين وخمسمائة. له ترجمة في "البداية والنهاية" 12/ 294، و"تذكرة الحفاظ" 4/ 1328 و"شذرات الذهب" 4/ 239.

(5) الصحابي جابر بن عبد الله بن عمر بن حرام، غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم تسع غزوات، ولم يشهد بدرا ولا أحدا. منعه أبوه. مات سنة ثمان وسبعين. له ترجمة في "أسد الغابة" 1/ 307، و"الإصابة" 1/ 214، و"تذكرة الحفاظ" 1/ 43.

والمراد بدخول النار: استحقاق دخولها، وعفو الله وراء ذلك. إذ هذا إيعاد. قال:

وإني وإن أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

فما بالك بأكرم الأكرمين وأرحم الراحمين؟. وقد قال الفضيل بن عياض(1): "ما من ليلة اختلط ظلامها وأرخى الليل سربال ستره إلا نادى الجليل جل جلاله من بطنان عرشه: أنا الجواد ومن مثلي يجود على الخلائق وهم لي عاصون؟، وأنا لهم مراقب أكلؤهم في مضاجعهم كأنهم لم يعصوني، وأتولى حفظهم كأنهم لم يذنبوا، فيما بيني وبينهم أجود على العاصين وأتفضل على المسيئين من ذا الذي دعاني فلم استجب له؟، [2] من ذا الذي سألني فلم أعطيه؟، من ذا الذي أناخ ببابي فطردته؟. أنا المتفضل ومني الفضل، وأنا الجواد ومني الجود، وأنا الكريم ومني الكرم".

إذا أضحى فراشي من التراب ... وصرت مجاور الرب الرحيم

فهنوني أخلائي وقولوا: ... لك البشرى؛ قدمت على كريم

والمراد بالأعراف: أعراف الحجاب أي: أعاليه، وهو السور المضروب بين الجنة والنار، المشار إليه بقوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾. [الحديد/ ١٣]. يحبس فيه طائفة من هذه الأمة استوت حسناتهم وسيئاتهم، فمنعتهم الحسنات من النار والسيئات من الجنة، فيقيمون على سور الجنة حتى يدخلهم الله الجنة برحمته. جمع عُرف، استعير من عرف الفرس وعرف الديك.

(1) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي، شيخ الحرم المكي، من أكابر العباد الصلحاء، كان ثقة في الحديث، ولد في سمرقند سنة 105، ثم سكن مكة وتوفي بها سنة سبع وثمانين ومائة. له ترجمة في "طبقات الصوفية" 6/ 34. و"تهذيب التهذيب" 8/ 294. و"صفة الصفوة" 2/ 134. و"حلية الأولياء" 8/ 84.

2 - قضاء حاجة المؤمن

وفي الحلية عن نافع[1] عن ابن عمر[2] رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قضى لأخيه المؤمن حاجة كنت واقفا عند ميزانه، فإن رجح وإلا شفعت له"[3].

3 - تعليم الناس الخير

وفي حديث إبراهيم النخعي[4] في قوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾. [الأنبياء/ ٤٧]. قال: "يُجاء بعمل رجل فيوضع في كفة ميزانه فيرجح، فيقال: أتدري ما هذا؟. فيقول لا. فيقال: هذا العلم الذي علِمته وعلَّمته الناس، تعلموه وعلموه بعدك".

4 - الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

ونقل الواحدي[5] في بسيطه، والقرطبي[6] في تذكرته عن

---

(1) هو: مولى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أبو عبد الله المدني. كثير الحديث، بعثه عمر بن العزيز إلى مصر يعلمهم السنن. مات سنة تسع وعشرين. له ترجمة في "تذكرة الحفاظ" 1/ 99، و"شذرات الذهب" 1/ 154.

(2) الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي. أسلم قديما مع أبيه وهو صغير، بل روي أنه أول مولود في الإسلام، واستصغر يوم أحد، وشهد الخندق وما بعدها. توفي سنة أربع وسبعين "أسد الغابة" 3/ 340، و"الإصابة" 1/ 338، و"تذكرة الحفاظ" 1/ 37.

(3) ضعيف، "حلية الأولياء" (6/ 353). وقال الحافظ أبو نعيم: "غريب من حديث مالك، تفرد به الغفاري وهو إبراهيم بن عبد الله أحد رواة الحديث".

(4) إبراهيم بن يزيد النخعي، أبو عمران. فقيه أهل الكوفة ومفتيها هو والشعبي في زمانهما، قال الأعمش: "كان صيرفيا في الحديث"، مات سنة ست وتسعين "تذكرة الحفاظ" 1/ 73، و"تهذيب التهذيب" 1/ 177، و"شذرات الذهب" 1/ 111.

(5) أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري. كان أوحد عصره في التفسير، وصنف التفاسير الثلاثة: "البسيط"، و"الوسيط"، و"الوجيز". مات سنة ثمان وستين وأربعمائة. له ترجمة في "إنباه الرواة" 2/ 323، و"البداية والنهاية" 12/ 114، و"بغية الوعاة" 2/ 145.

(6) القرطبي هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله. من كبار المفسرين، صالح متعبد، رحل إلى المشرق واستقر بمنية ابن خصب في شمالي أسيوط =

القشيري[1] في تفسيره: "إذا خفّت حسنات المؤمن؛ أخرج المصطفى صلى الله عليه وسلم بطاقة كالأنملة، فيلقيها في كفة الميزان اليمنى فترجح، فيقول ذلك المؤمن: بأبي أنت وأمي ما أحسن وجهك وخلقك؛ من أنت؟. فيقول: أنا نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه صلاتك علي وفّيتكها أحوج ما أنت إليها"[2].

5 - كرم الله عز وجل

وفي "الإحياء": "يؤتى برجل إلى الميزان يوم القيامة فما يجد حسنة يرجح بها ميزانه وقد اعتدلت كفتاه بالسوية. فيقول الله له رحمة منه: اذهب في الناس فالتمس من يعطيك حسنة لأدخلك بها الجنة. فما يجد أحدا يكلمه في ذلك الأمر إلا قال له: أنا أحوج لذلك منك. فييأس، فيقول له رجل: لقد لقيتُ الله فما وجدت في صحيفتي إلا حسنة واحدة، وما أظنها تغني عني شيئا، خذها هبة. فينطلق بها فرحا مسرورا، فيقول الله: ما بالك؟. وهو أعلم. فيقول: يا رب؛ اتفق من أمري كيت وكيت. فينادي الله بصاحبه الذي وهبه الحسنة، فيقول الله تعالى: كرمي أوسع من كرمك؛ خذ بيد أخيك وانطلقا إلى الجنة"[3].

6 - قراءة سورة القارعة

وفي "الكشاف": "وعن النبي صلى الله عليه وسلم: من قرأ [3] سورة

= بمصر، وتوفي سنة واحد وسبعين وتسعمائة. من كتبه "الجامع لأحكام القرآن"، و"الأسنى شرح أسماء الله الحسنى"، و"التذكار في فضل الأذكار"، له ترجمة في "نفح الطيب" 1/ 428. و"الديباج" 428، و"الأعلام" 5/ 322.

(1) عبد الحكيم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد الاستوائي. الإمام أبو القاسم القشيري النيسابوري الشافعي. ولد سنة ست وسبعين وثلاثمائة، وتوفي سنة خمس وستين وأربعمائة. له من المصنفات "الرسالة القشيرية". و"الفصول في الأصول"، و "التيسير في التفسير".

(2) "التذكرة" ص283.

(3) ذكره الغزالي في "كشف علوم الآخرة".

القارعة؛ ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة"[1].

7، 8، 9، 10- قول لا إله إلا الله، والتسبيح، والتكبير، والولد

وأخرج الترمذي[2] وحسنه، والنسائي وابن ماجه[3] والإمام أحمد[4] وابن حبان[5]، والطبراني[6] والحاكم[7] وقال: "صحيح على شرط

(1) أخرجه الزمخشري والثعلبي وابن مردويه بسندهم إلى أبي بن كعب "الكشاف" 4/ 630. قلت: علماء الحديث على أن كثيرا من الأحاديث التي ترد في فضائل القرآن، والتي فيها: من قرأ سورة كذا فله كذا، لا يصح سندها، عدا قلة وردت في الصحيح.

(2) المحدث الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي، صاحب "الجامع الصحيح"، و"العلل"، عمي آخر حياته، قال أبو سعيد الإدريسي: "كان أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث"، مات سنة تسع وسبعين وماتين. له ترجمة في "تذكرة الحفاظ" 2/ 633، و"تهذيب التهذيب" 9/ 387، و"شذرات الذهب" 2/ 174.

(3) المحدث المعروف، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، صاحب "السنن"، و"عمل اليوم والليلة"، أحد الأئمة المبرزين، وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار، وأعرفهم بالرجال. مات سنة ثلاث وثلاثمائة. له ترجمة في "البداية والنهاية" 11/ 123، و"تذكرة الحفاظ" 2/ 698، و"الرسالة المستطرفة" 11، و"شذرات الذهب" 2/ 239.

(4) أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبد الله المروزي ثم البغدادي. الإمام الشهير، أحد الأئمة الأربعة، صاحب المسند، و"الزهد" وغير ذلك. قال أبو زرعة: "كان أحمد يحفظ ألف ألف حديث". مات سنة إحدى وأربعين ومائتين. له ترجمة في "تاريخ بغداد" 4/ 412، و"حلية الأولياء" 9/ 161، و"صفة الصفوة" 2/ 190، و"تذكرة الحفاظ" 2/ 431، و"وفيات الأعيان" 1/ 17، و"البداية والنهاية" 10/ 325-343، و"الأعلام" 1/ 203.

(5) فيلسوف المحدثين أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي. سمع بخرسان والعراق والحجاز والشام ومصر وغيرها. وألف في الحديث والتاريخ والفقه. توفي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، له ترجمة في "تذكرة الحفاظ" 3/ 920، و"طبقات الشافعية" 3/ 131.

(6) الحافظ العلامة الحجة سليمان بن أحمد بن مطير أبو القاسم اللخمي الشامي، صاحب رحلات واسعة إلى البحرين واليمن ومصر وغير ذلك، له من المصنفات: المعاجم الثلاثة: الكبير والأوسط والصغير. توفي سنة ستين وثلاثمائة. له ترجمة في "طبقات الحنابلة" 2/ 49، و"وفيات الأعيان" 2/ 470.

(7) المحدث المصنف أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن البيع الضبي النيسابوري المعروف بالحاكم. من تصانيفه: "المستدرك على الصحيحين"، و"معرفة علوم الحديث"، و"التاريخ"...وغير ذلك، مات سنة خمس وأربعمائة، له ترجمة في "البداية والنهاية" 11/ 355، و"تاريخ بغداد" =

مسلم"[1] عن عبد الله بن عمرو بن العاص[2] رضي الله عنهما رفَعه: "يؤتى برجل إلى الميزان يوم القيامة على رؤوس الخلائق، ينشر عليه تسعة وتسعون سجلا، كل سجل منها مد البصر، فيها خطاياه وذنوبه. ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئا؟، أَظَلَمَك كتَبَتي الحافظون؟. فيقول: لا يا رب. فتوضع تلك السجلات كلها في كفة الميزان حتى يرى أنه هالك، ثم تخرج له بطاقة قدر الأنملة فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فتوضع في الكفة الأخرى، فترجح بخطاياه وذنوبه، إذ لا يثقل مع اسم الله شيء. فينجو ببركة لا إله إلا الله"[3].

قال في "المواهب السنية": "وبالسند إلى أبي الحسن الحراني قال: لما أملى علينا حمزة الكناني[4] هذا الحديث في الجامع العتيق[5] صاح غريب من الحلقة صيحة فاضت نفسه معها، فأنا ممن حضر جنازته وصلى عليه رحمه الله تعالى".

= 5/ 473، و"تذكرة الحفاظ" 3/ 1031، و"شذرات الذهب" 3/ 176.

(1) هو مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. الإمام الحافظ، صاحب "الصحيح". قال أحمد بن سلمة: "إن أبا زرعة وأبا الحاكم يقدمان مسلم بن الحجاج في معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما". مات سنة إحدى وستين ومائتين. له ترجمة في"تاريخ بغداد" 9/ 100، و"تذكرة الحفاظ" 2/ 588، و"الرسالة المستطرفة" 11.

(2) عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السلمي أبو محمد. شاهد مع أبيه فتوح الشام، وكانت معه الراية يوم اليرموك. مات سنة ثلاث وستين. له ترجمة في "أسد الغابة" 3/ 348، و"الإصابة" 1/ 343، و"تذكرة الحفاظ" 1/ 41.

(3) أخرجه الإمام أحمد "2/ 212-222"، والترمذي في الإيمان رقم "2641"، باب ما جاء في من يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله. وقال الترمذي: حسن صحيح، وابن ماجه في "الزهد" "ح4300" من حديث الليث بن سعد. والمنذري في "النرغيب والترهيب" "2/ 241" وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الجامع" "ح1776" و"الصحيحة" رقم"135".

(4) حمزة بن محمد بن علي بن العباس الكناني المصري أبو القاسم. من حفاظ الحديث. وكان ورعا كثير العبادة. مات في ذي الحجة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة. "تذكرة الحفاظ" 3/ 137.و"الرسالة المستطرفة" ص: 67.

(5) هو جامع عمرو بن العاص، وهو أول مسجد أسس بمصر في الإسلام، بناه عمرو بن العاص مع مدينة الفسطاط سنة 21هـ. "خطط المقريزي" 2/ 246. و"حسن المحاضرة" 2/ 239.

القرطبي في "التذكرة": "ليست هذه الشهادة شهادة التوحيد، فإن النطق بها بعد شهادة التوحيد حسنة توضع في الميزان، ويجوز أن تكون هذه الكلمة آخر كلامه في الدنيا، لحديث: من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله وجبت له الجنة"[1].

وفي "الجامع الصغير": "بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان: لا إله إلا الله، وسبحان الله والحمد لله والله أكبر، والولد الصالح يتوفى للمرء المسلم فيحتسبه"[2]. البزار عن ثوبان، والنسائي وابن حبان، والحاكم في "المستدرك"، عن أبي سلمى، والإمام أحمد في مسنده عن أبي أمامة[3].

"وبخ بخ": مسكّنين، ومنوّنين، ومشددين، ومنون الأول مسكن الثاني. كلمة تقال عند الرضى بالشيء.

وفيه أيضا: "الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان"[4] الحديث، الإمام أحمد في مسنده، ومسلم والترمذي عن أبي مالك. أي: مرفوعا.

11 - الخلق الحسن

وفيه أيضا: "ليس شيء أثقل في الميزان من الخلق الحسن"[5] الإمام

---

(1) رواه أبو داود 3/ 182. والحاكم في "المستدرك" بسند حسن عن معاذ، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" "5/ 342".

(2) أحمد(ح17382)، و(ح22021) والطبراني في "الكبير" (ح18311).

(3) هو: صدي بن عجلان الباهلي السهمي. سكن مصر ثم حمص ثم الشام، وكان يصفر لحيته. مات سنة إحدى وثمانين، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام، له ترجمة في "الرياض المستطابة" ص127-128.

(4) رواه مسلم ح223 في كتاب الطهارة، باب: فضل الوضوء، والترمذي في الدعوات ح3512، والدارمي في "السنن" 1/ 163، والنسائي 5/ 6، 5 في الزكاة، والبيهقي في "السنن الكبرى" 1/ 10، وأبو عوانة في "المسند" 1/ 223، والطبراني في "المعجم الكبير" 3/ 223، والمنذري في "الترغيب والترهيب" 1/ 156، وأورده الألباني في "صحيح الجامع" ح3957.

(5) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (6/ 442-446-448)، وأبو داود في "السنن" كتاب =

أحمد في مسنده عن أبي الدرداء. أي: مرفوعا.

وفيه أيضا: "أول ما يوضع في الميزان: الخلق الحسن". الطبراني عن أم الدرداء.

12 - مداد العلماء

وفيه أيضا: "يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء، فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء"[1]. [الشيرازي][2] عن أنس، والمواهبي عن عمران بن حصين[3] وابن عبد البر[4] في "العلم" عن أبي الدرداء، وابن الجوزي[5] في "العلل" عن النعمان بن بشير[6].

= الأدب، باب حسن الخلق رقم (4799)، والترمذي في "السنن" كتاب "البر والصلة" باب ما جاء في حسن الخلق" رقم (2003، 2004)، وقال: "حسن صحيح". وأورده الألباني في "صحيح الجامع" رقم(5721)، وفي "ظلال الجنة" ح782.

(1) الحديث موضوع فيه إسماعيل بن أبي زياد السكوني قاضي الموصل، قال فيه ابن عدي: "منكر الحديث"، وقال ابن حبان: "دجال لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل القدح فيه"..وقال الذهبي في "الميزان" (3/ 517): "متنه موضوع"،وكذا قال الألباني في "الضعيفة": موضوع. ينظر علل ابن الجوزي(55-53)، و"كشف الخفاء" (2/ 496)، و"تخريج الإحياء" للعراقي (1/ 27)، و"كنز العمال" (ج5/ ص209)، و"ضعيف الجامع" للألباني (ح6464).

(2) ما بين المعقوفتين في الأصل: الشيراني، والصواب ما أثبته اعتمادا على "كشف الخفاء" للعجلوني.

(3) عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي. من علماء الصحابة. أسلم عام خيبر، وكانت معه راية خزاعة يوم فتح مكة، وهو ممن اعتزل حرب صفين، له في كتب الحديث: 130 حديثا. له ترجمة في "تذكرة الحفاظ" 1/ 28. و"صفة الصفوة" 1/ 283. و"طبقات" ابن سعد 7/ 4، و"تهذيب التهذيب" 8/ 135. و"الأعلام" 5/ 70.

(4) الحافظ الإمام أبو عمر يوسف بن عبد البر النميري القرطبي، قال أبو الوليد الباجي: "لم يكن في الأندلس مثله في الحديث". مات سنة ثلاث وستين وأربعمائة. له ترجمة "تذكرة الحفاظ" 3/ 1128. و"الديباج المذهب" 375، و"جذوة المقتبس" 344.

(5) الإمام العلامة الحافظ عبد الرحمن بن علي القرشي البكري البغدادي الحنبلي، الواعظ، صاحب التصانيف السائرة في فنون العلم. مات سنة سبع وتسعين وخمسمائة، له ترجمة في "البداية والنهاية" 13/ 28. و"تذكرة الحفاظ" 4/ 1342.

(6) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، أبو عبد الله. من الصحابة، له 124 =

13 - تخفيف العمل على الخادم

وفيه أيضا: "ما خففت عن خادمك من عمله فهو أجر لك في موازينك يوم القيامة.."[1]. أبو يعلى في سننه، وابن حبان في صحيحه، والبيهقي[2] في "شعب الإيمان" عن عمرو بن [4] الحويرث.

14 - الأضحية

وورد في رواية حسّن بعض الحفاظ سندها كما في "الزواجر": "يا فاطمة؛ قومي فاشهدي أضحيتك، فإن لك بأول قطرة تقطر من دمها مغفرة لكل ذنب، أما إنه يُجاء بدمها ولحمها فيوضع في ميزانك سبعين ضعفا". فقال أبو سعيد: "يا رسول الله؛ هذا لآل محمد خاصة، فإنهم أهل لما خصوا به من الخير؟، أو لآل محمد وللمسلمين عامة؟". فقال: "لآل محمد خاصة وللمسلمين عامة"[3].

15 - الدابة في سبيل الله

وفي "الجامع" أيضا: "ما ثقل ميزان عبد كدابة تُنفَق له في سبيل الله أو يُحمل عليها في سبيل الله"[4] الطبراني في "الكبير" عن معاذ.

= حديثا في الصحيح، شهد صفين مع معاوية، وولي القضاء بدمشق، وولي اليمن لمعاوية، ثم حمص، و تمرد أهل حمص عليه فخرج هاربا، فتبعه خالد بن علي الكلاعي فقتله سنة خمس وستين. له ترجمة في "التهذيب" 10/ 447، و"أسد الغابة" 5/ 22، و"الأعلام" 8/ 36.

(1) رواه ابن حبان في صحيحه باب: صحبة المماليك. رقم 4395، والبيهقي في "شعب الإيمان" ح 8343، وأبو يعلى في مسنده ح 1442، وعبد بن حميد في "المسند" ح 286.

(2) أبو بكر أحمد بن علي بن موسى صاحب التصانيف. كتب الحديث و حفظه من صباه، و انفرد بالإتقان و الضبط، مات سنة ثمان و خمسين و أربعمائة. له ترجمة في "البداية و النهاية" 16/ 94، و"تذكرة الحفاظ" 3/ 311.

(3) أخرجه الحاكم في "المستدرك" وصححه، وأبو الشيخ ابن حبان في كتاب "الضحايا"، وهو في "الزواجر عن اقتراف الكبائر" 1/ 169، و في إسناده عطية بن قيس، وُثق، وفيه كلام. ينظر "الضعيفة" للألباني (ح 582).

(4) رواه الإمام أحمد في "المسند" (5/ 246)، والطبراني في "المعجم الكبير" ح 16541.

16 - صلة الرحم

وفيه أيضا: "للرحم لسان عند الميزان؛ يقول: يا رب من قطعني فاقطعه ومن وصلني فصله". الطبراني في "الكبير" عن بريدة .

فخرج من هذا: أن ثقل الميزان يكون بأمور.

وأخرج الترمذي وقال: "حسن غريب" عن أنس قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة، قال: "أما [أنا] فاعل إن شاء الله تعالى"، قلت: "فأين أطلبك؟". قال: "أول ما تطلبني على الصراط". قلت: "فإن لم ألقك على الصراط؟"، قال: "فاطلبني عند الميزان"، فقلت: "فإن لم ألقك عند الميزان؟". قال: "فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن"[1].

معنى قولهم: حسن، وحسن غريب

الحسن عندهم: ما كان راويه مشهورا بالصدق والأمانة، ومن قاعدة الترمذي إذا قال: حسن صحيح مثلا: أن يريد المصطلح عليه، وإذا قال: حسن ولم يزد؛ أن يريد: ما كان راويه غير متهم بالكذب، وليس بشاذ، وروي بنحوه من غير ما وجه. والغريب: ما يكون سنده متصلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن يرويه واحد إما من التابعين أو من أتباع التابعين، أو من أتباع أتباع التابعين.

وأخرج الحاكم وقال: "صحيح على شرط مسلم": "يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وُزنت - أو وُضعت - فيه السماوات والأرض؛ لوضعت. فتقول الملائكة: يا رب؛ لمن يزن هذا؟. فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي.

(1) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة باب في شأن الصراط من سننه 4/ 537 حديث رقم 2433، وهو في "صحيح سنن الترمذي" للألباني تحت رقم 1981، ومسند الإمام أحمد، باب مسند أنس بن مالك (ح 12360).

فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك"

"و يوضع الصراط مثل حد الموسى، فتقول الملائكة: من يجوز على هذا؟. فيقول: من شئت من خلقي. فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك!"[1].

على العاقل أن يكون في بصيرة من أمر دينه

فعلى العاقل أن يكون على بصيرة فيما يختار لنفسه، قبل حلول رمسه، ويزن أقواله وأفعاله بميزان الشرع، رجاء أن يثقل ميزانه ويفوز بالنفع. ومن يطع الله ورسوله ندخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ؛ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده ندخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين. [النساء/ 14] .﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾. [النور/ 52].

"الكشاف" : "و لقد جمع الله في هذه الآية أسباب الفوز"[2]

وعن ابن عباس[3] رضي الله عنهما في تفسيرها: "ومن يطع الله في فرائضه، ورسوله في سننه، ويخشى الله على ما مضى من ذنوبه، ويتقه فيما يستقبل"

(1) رواه الحاكم في "المستدرك" عن سلمان، رقم8891.

(2) قول الزمخشري هذا في الحقيقة من اعتزالياته، فظاهر كلامه أنه: ما فيه شيء. لكنه يريد أن ينفي رؤية الله يوم القيامة كما قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾. [آل عمران/ 186]. قال: "وأي فوز أعظم من هذا الفوز؟". فهو - رحمه الله - يريد أن يقصر الفوز فقط على دخول الجنة وكفى، فكلامه خفي جدا يأتي بالكلمة من الاعتزال ولا يحس بها الإنسان إطلاقا، ولا يدري أي شيء تهدف إليه. حتى قال ابن البلقيني: "أخرجت من الكشاف اعتزاليات بالمناقيش".

(3) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب. ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وترجمان القران. يقال له: الحَبر، والبحر. دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالحكمة مرتين، مات سنة ثمان وستين. له ترجمة في "أسد الغابة" 3/ 240، و"الإصابة" 1/ 322، و"صفة الصفوة" 1/ 324.

وعن بعض الملوك أنه: سأل عن آية كافية، فتليت له هذه الآية. وعن سمرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله تعالى: يا ابن أدم؛ أتدري لماذا خُلقت؟؛ خُلقت للحساب، وخُلقت للنشور، والوقوف [5] بين يدي الله عز وجل، وليس ثالثة دار، إنما هي الجنة أو النار، فإن عملت بما يرضي الرحمن عز وجل؛ فالجنة دارك ومثواك، وإن عملت بما يسخطه؛ فالنار لا يقوم لها جبار عنيد، ولا شيطان مريد، ولا مدر ولا حجر ولا حديد، خلقتْ من غضب الله على أهل جحوده".

وقال أبو زكريا التيمي: "بينما سليمان بن عبد الملك[1] في المسجد الحرام، إذ أتي بحجر منقوش، فطلب من يقرؤه، فأتي بوهب بن منبه[2]، فإذا فيه: يا ابن آدم؛ إنك لو رأيت قُرب ما بقي من أجلك؛ لزهدت في طول أملك، ولرغبت في الزيادة من عملك، ولقصرت من حرصك وحيلك، وإنما يلقاك غدا ندمك، لو زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك، ففارقك الولد والقريب، ورفضك الوالد والنسيب، فلا أنت إلى دنياك عائد، ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة، قبل الحسرة والندامة. فبكى سليمان بكاء شديدا".

---

(1) سليمان بن عبد الملك بن مروان، أبو أيوب، الخليفة الأموي. ولد في دمشق، وولي الخلافة يوم وفاة أخيه الوليد سنة 96. كان عاقلا فصيحا طموحا إلى الفتح. جهز جيشا كبيرا لحصار القسطنطينية، وفي عهده فتحت جرجان وطبرستان، وأمر بمعاقبة أل الحجاج بن يوسف الثقفي. ولى على خرسان يزيد بن المهلب، وولي على على المدينة أبابكر بن محمد بن عمرو بن حزم الذي أمر بجمع الحديث النبوي. توفي في دابق من أرض قنسرين سنة 99هـ له ترجمة في "الكامل" لابن الأثير 5/ 14، و"الأعلام" 3/ 130.

(2) وهب بن منبه. أبو عبد الله. كثير الإخبار من الكتب القديمة، يعد من التابعين، وكان ثقة حافظا، ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء صنعاء. حبس في كبر وامتحن. توفي سنة (114هـ). له ترجمة في "تاريخ الإسلام" للذهبي 5/ 14- 16. و"شذرات الذهب في أخبار من ذهب" 1/ 150، و"طبقات" ابن سعد 5/ 395. و"وفيات الأعيان" 2/ 180. و"حلية الأولياء" 4/ 23، و"التهذيب" 11/ 166. و"الأعلام" 8/ 126".

شرح مفردات الباب، وما يتعلق بذلك من المباحث

من أسرار ترتيب صحيح البخاري

وبدأ بكتاب الإيمان، وختم بكتاب التوحيد؛ تفاؤلا أن يكون بالإيمان الابتداء للعمر، وبه الاختتام له، وعليه المحيى والممات .

وجعل حديث: "إنما الأعمال. . .إلخ"[1]؛ أول الأبواب، وحديث وزن الأعمال آخرها؛ إشارة إلى أن الأعمال إنما تثقل في الميزان أو تخف باعتبار النيات وجودا وعدما، وليوقظ نفسه لتحسين النية قبل العمل، إذ هو تابع لها حتى يكون البناء على أصل صحيح. لأن تحسينها في مقام التعليم والتأليف عسير، لما امتاز به العالم من الأمور، فتعترضه الأغراض الفاسدة من كبر ونحوه، ويزين له الشيطان حب الجاه ونحوه بلطائف الحيل. وصدق أبو يزيد في قوله: "عالجت العقبات؛ فما رأيت أصعب من عقبة العلم"[2]. أي:

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان، باب بدء الوحي (ح 1)، ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة (ح 155)، وهو مخرج في "إرواء الغليل" للألباني (حديث22)ص59.

(2) وقال سفيان الثوري كذلك: "ما عالجت شيئا أشد علي من نفسي، فإنها تتقلب عليه". وقال أحد السلف: "آتي على الحديث ولي فيه نية، فإذا حدثت به تغيرت نيتي فأجددها، ثم تتغير، فإذا بالحديث الواحد يحتاج إلى نيات". وبهذا تظهر صعوبة إخلاص النية. قال يوسف بن أسباط: "تخليص النية من فسادها أشد على العالمين من طول الاجتهاد". وقال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة في مقام تحسين النية: "أريدوا بعلمكم الله تعالى؛ فإني لم أجلس مجلسا قط أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم، ولم أجلس مجلسا قط أنوي فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى أفتضح".

لتوفر الأسباب الداعية للأغراض.

النية أساس الأعمال

ولهذا قال مالك: "ينبغي للرجل إذا خُول علما وكان رئيسا يشار إليه بالأصابع؛ أن يضع التراب على رأسه، ويعاتب نفسه إذا خلا بها، ولا يفرح بالرياسة؛ فإنه إذا اضطجع في قبره وتوسد التراب ساءه ذلك، فالعمل الواحد من الشخصين يوصل أحدهما إلى أعلى عليين والآخر إلى أسفل سافلين، أو لا يوصله إلى شيء، فيضيع عمله".

فالعالم إذا أراد امتثال أمر الله ورسوله، وابتغاء مرضاتهما، والسعي في نفع الأمة والدلالة على الله، ونصرة دين الله؛ كان في أعلى عليين، مع المنعَم عليهم. وإن أراد الجاه ونحوه؛ كان مع المبعدين .

والذي يفعله من ابتلي بمحبة الناس له، وثنائهم عليه وتعظيمهم له: أن يستحضر الأمر على حقيقته؛ فإن ذلك إنما هو لأجل الانتساب إلى النبي صلى الله عليه وسلم لا لذاته، فليكن فرحه بتعظيم جناب المصطفى، وليستحضر [6] مع ذلك عجز الناس، وأنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، فضلا عنه. حتى لا يعتد بالمنزلة في قلوبهم، ذاكرا ما في ذلك من الآيات والأحاديث، وأقاويل العلماء. داعيا دُعاء الغريق، متمسكا بالله تعالى. وتنبيها على أنه يرجو الله تعالى أن يجعل كتابه هذا من الأعمال التي توزن له يوم القيامة، ويجازيه عليها، وأنه وضعه قسطاسا وميزانا يُرجع إليه.

الميزان وما يتعلق به

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾. [الأنبياء/ 47]: ننصبها للجن والإنس. جمع ميزان: الآلة التي يوزن بها. أو: موزون، وهو: العمل الذي له وزن وخطْر عند الله. أصله: موزان، قُلبت الواو لكسر ما قبلها(1) وفي الإتيان بنون العظمة تنبيه على أن

(1) كميرات أصله: موارث. وميثاق أصله: مواثق.

الواضع لها ذو عظمة وجلال، ينبغي أن تخاف سطوته، وتُتقى عقوبته. وتهويل وتفظيع لتلك الموازين.

ولما كان القصد من وضعها: إقامة العدل بين الخلائق في ذلك اليوم الهائل؛ وصفت على سبيل المبالغة بقوله: ﴿ٱلْقِسْطَ﴾. بكسر القاف[1]: العدل. كأنها في أنفسها قسط. وبفتحها: الجور. تقول: أمر الله بالقِسط، ونهى عن القَسط. وأفردت الصفة مع كون الموصوف جمعا؛ لأن المصدر إذا نُعت به يجب إفراده وتذكيره، ويجوز - على قلة - أن يكون مفعولا لأجله، أو: على حذف مضاف، أي: ذوات القسط.

﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: ثبت لأبي ذر، وسقط لغيره. واللام بمعنى: في، أو: للتعليل، على حذف مضاف. أي: لأجل جزاء أو حساب أو حكم. أو: بمعنى: عند. وهذا مما يجب اعتقاده والإيمان به.

وفي "الرسالة": "و توضع الموازين لوزن أعمال العباد ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨﴾. [الأعراف/ 8]. وترك قسيمه إشارة إلى سعة رجاء فضله، أو أنه من باب الاكتفاء.

وجود الميزان من عقائد أهل السنة والجماعة

والميزان ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، وبلغت أحاديثه مبلغ التواتر. وهنا فصول جمعها الحافظ السخاوي[2] في جزء لطيف[3] وهي:

هل الميزان واحد أومتعدد بتعدد الأشخاص أو الأمم أو العمل؟. وما

(1) قال المؤلف في طرة النسخة: "وبفتحها: الجور، تقول: أمر الله بالقسط ونهى عن القسط".

(2) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر السخاوي، نسبة إلى سخا، وهي قرية غربي الفسطاط بمصر، بلد آبائه. ولد بالقاهرة سنة واحد وثلاثين وثمانمائة، خريج الحافظ ابن حجر وخصيصه و ملازمه. توفي سنة اثنين و تسعمائة. من مؤلفاته: "فتح المغيث"، و"الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التوريخ"، و"القول البار في تخريج أحاديث الأذكار".. وغيرها. له ترجمة في "الأعلام" (7 / 66 - 67). و"معجم المؤلفين" 1/ 150-151".

(3) أي: صغير. ولذلك من معاني اسم الله "اللطيف": أنه يعلم دقائق الأمور وخفيها.

صفته؟. وهل هو قبل الصراط أو بعده؟. أو قبل الحساب أو بعده؟. ومن صاحبه الموكل به؟. وما الموزون؟. وما كيفية الوزن؟. وما الأمور التي يوزن بها؟. وماهية جرمه من أي الجواهر؟. وهل هو موجود الآن أم سيوجد؟. وما فائدة الوزن وحكمته؟. وهل هو خاص بالمؤمنين أو عام؟. وهل يكون مقاصة بين العبد وربه أولا؟.

هل الميزان واحد أم متعدد؟

ظاهر الآيات وبعض الآثار، والرسالة تعدده، وبه قال الحسن بن أبي الحسن البصري، وزعم أن لكل مكلف ميزانا. وقيل: متعدد بتعدد الأمم. وجوز الفخر[1] أن يكون لكل قوم من العمل ميزانا، ولم يرتض ذلك ابن عطية[2]، وقال: "إن الناس [7] - أي: الجمهور - يجمعون على خلافه، وإنما لكل مكلف وزن يخصه"

والميزان واحد لجميع المكلفين، وجميع الأعمال والأقوال، ولا يستكل بكثرة من يوزن عمله، لأن أحوال الآخرة لا تكيف بأحوال الدنيا، وعلى تعدد الوزن فهو أقسام وزن يظهر منه الإيمان والكفر، ووزن بين العباد في المظالم والحقوق، ووزن بين العبد وربه .

وعن عائشة رضي الله عنها: "الدواوين ثلاثة: ديوان لا يغفره الله؛ وهو: الشرك بالله تعالى، وديوان لا يتركه الله؛ وهو: مظالم العباد، فلابد من أن يقتص لبعضهم من بعض، أو يرضي الخصم من خزائن فضله. وديوان إن شاء

---

(1) محمد بن عمر بن الحسن البكري الرازي، الإمام المفسر الأصولي الفيلسوف، أوحد زمانه في المعقول والمنقول، الأديب الشاعر. أصله من طبرستان. تفقه على والده، وعنه تلقى أصول الفقه، رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان في سبيل العلم. ولد بالري سنة 544هـ، وتوفي بهراة سنة 666هـ. من مؤلفاته: "مفاتيح الغيب في التفسير"، و"المحصول في الأصول"... له ترجمة في "وفيات الأعيان" 1/ 474، و"الأعلام" 7/ 206.

(2) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الغرناطي، أبو محمد. مفسر فقيه، أندلسي، كان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين. توفي في بلورقة سنة 548هـ. له ترجمة في "نفح الطيب" 1/ 593، و"قضاة الأندلس" 109، و"بغية الملتمس" 376، و"الأعلام" 3/ 282.

غفره وإن شاء عذب عليه، وهو: ما بين العبد وربه"

وعليه؛ فجمعه إما باعتبار تعدد أجزائه، أو باعتبار تعدد الأعمال الموزونة، أو الأشخاص. لكثرة من توزن أعمالهم، أوهو جمع صوري لقصد التفخيم والتهويل لعظمته كما في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾. [الشعراء/ ٢٦]، مع أنهم لم يرسل إليهم إلا رسول .

صفة الميزان

يروى أن داود عليه السلام سأل ربه: أن يريه الميزان، فلما رآه؛ أغشي عليه، ثم أفاق فقال: "يا إلهي؛ من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات؟". فقال: "يا داود؛ إني إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة، يا داود؛ املأها بكلمة لا إله إلا الله".

ويروى في صفته: أنه لو وُضعت السماوات والأرض ومن فيهن في إحدى كفتيه لوسعتهن[1]، كفة من نور عن يمين العرش جهة الجنة، وهي التي يوزن فيها الحسنات. وأخرى: من ظلمة عن يسار العرش جهة جهنم، وهي التي يوزن فيها السيئات .

وجاء في أكثر الأخبار: أن الجنة توضع عن يمين العرش، والنار عن يساره، ثم يؤتى بالميزان فيُنصب بين يدي الله عز وجل كما ذُكر، وهو قبل الصراط على الصحيح، وبعد الحساب .

صاحب الميزان الموكل به

واختلفت الأخبار في صاحبه الموكَّل به؛ فعن عبد الله بن سلام[2] أنه:

---

(1) ذكره أبو القاسم اللالكائي في "السنة" عن عاصم.

(2) عبد الله بن سلام بالتخفيف، أبو يوسف. أسلم مقدِم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وشهد فتح بيت المقدس مع عمر. شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة. مات سنة 43هـ، له ترجمة في "أسد الغابة" 3/ 264، و"الإصابة" 2/ 312. و"تذكرة الحفاظ" 1/ 26، و"شذرات الذهب" 1/ 53.

جبريل. وروي - أيضا - عن خديجة موقوفا[1]. وروى البيهقي عن أنس مرفوعا: أنه ملك الموت. وروى الطبراني عن أبي هريرة أنه: آدم .

ويمكن الجمع بأن: كلا من الثلاثة يحضر عند الميزان، إذ لم يرد ما يدل على التخصيص، إلا أن كل واحد يلي غير ما يليه غيره. فجبريل آخذ بعموده ينظر إلى لسانه، مستقبلا به العرش. وميكائيل أمين عليه. وملك الموت يجعل الأعمال فيه لتوزن. وآدم ينظر ما يرفع إليه من أعمال ذريته ليعلم أنه لا يدخل النار إلا ظالم. قال تعالى: ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ بزيادة سيئة أو نقصان حسنة ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ﴾ وُزن بالرفع على إن كانت تامة والنصب على أنها ناقصة واسمها مضمر تقديره العمل ﴿حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ كناية عن قلتها جدا ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ من الإتيان بمعنى المجازاة والمكافاة لأنهم أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء وقرئ أثبنا بها من الثواب وقرئ جئنا بها ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء/ 47، 48] .

(وأن) بفتح الهمزة: معطوف على قول، وبكسرها على الاستئناف.

(أعمال بني آدم وقولهم): بالإفراد. وللقابسي بالجمع [8]. فيكون من مقابلة الجمع بالجمع. ولم يكتف بالأول؛ لأن التحقيق أن: القول لا يدخل في العمل حقيقة، وإنما يدخل فيه مجازا .

كيف يكون الوزن بالميزان؟

(يوزن): بميزان حقيقي حسي، له كفتان ولسان وعمود. هذا مذهب أهل السنة[2]، وصريح حديث الباب. وإليه ذهب ابن عباس، ورجحه الطبري

(1) ذكره ابن حجر في "الفتح" (13/ 397) وعزاه لابن أبي الدنيا، وفي 15/ 523 عزاه للالكائي في "السنة".

(2) قال أبو إسحاق الزجّاج: "أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له كفتان، ولسان، و يميل بالأعمال". "الفتح" 15/ 523. وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي في "شرح العقيدة الطحاوية": "والذي دلت عليه السنة أن الميزان الذي توزن به الأعمال يوم القيامة له كفتان حسيتان مشاهدتان" ص417.

وغيره. قال الحافظ: "وهو الصحيح".

أن الموزون: الأعمال نفسها، وهي - وإن كانت أعراضا - إلا أنها تُجَسّم. فالطاعات في صور حسنة نورانية[1]، والسيئات في صور قبيحة ظلمانية، والله تعالى قادر على كل شيء. فاندفعت شبهة المعتزلة أن الأعمال أعراض لا توصف بثقل ولا خفة فكيف توزن؟. قال جمهورهم: "ليس في الآخرة ميزان حسي، بل المراد به: العدل[2]. أي: أن الله تعالى يعدل بين خلقه فلا يظلم أحدا

ويشهد لكون الموزون الأعمال: أحاديث تقدمت، ورجح القرطبي أن الموزون: صحف الأعمال. وإليه ذهب جمهور المفسرين، والإمام أبو المعالي[3]، واستقى به ابن عطية، واقتصر عليه الغزالي، وابن الهمام[4] في "المسايرة"، والطيبي[5]، وهو مذهب ابن عمر. ويقويه حديث البطاقة وغيره.

---

(1) من الأدلة على أن الأعراض تتحول يوم القيامة إلى أجسام: حديث الرسول صلى الله عليه و سلم الذي رواه مسلم في صحيحه صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن و سورة البقرة، عن أبي أمامة الباهلي: "إقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أوغيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف. تحاجان عن أصحابهما".

(2) نسب القرطبي هذا الرأي في "التذكرة" إلى مجاهد والضحاك والأعمش ص291.

(3) عبد الملك بن عبد الله بن محمد الجويني النيسابوري الشافعي الأشعري، المعروف بإمام الحرمين، ولد في محرم سنة 459 هـ وتوفي في نيسابور سنة 478 هـ. من تصانيفه: "نهاية المطلب في دراسة المذهب"، و"البرهان في الأصول".

(4) كمال الدين؛ المعروف بابن الهمام، العارف بأمور الديانات و التفسير و الفقه. ولد سنة 79هـ بالإسكندرية، وتوفي بالقاهرة سنة 861هـ. من مؤلفاته: "شرح القدير على الهداية" في فروع الفقه الحنفي، و"التحرير في أصول الفقه". له ترجمة في "طبقات الأصوليين" 3/ 36-37. و"الأعلام" 7/ 134.

(5) الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي، من علماء الحديث والتفسير، من أهل تبريز من عراق العجم، و كان شديد الرد على المبتدعة، ملازما لتعليم الطلبة، آية في استخراج الدقائق من الكتاب و السنة. من كتبه: "التبيان في المعاني و البيان"، و"شرح مشكاة المصابيح"..وغيرها. له ترجمة في "الدرر الكامنة" 2/ 68، و"شذرات الذهب" 6/ 137. و"الأعلام" 2/ 256.

وعليه؛ فكلام المصنف على حذف مضاف، أي: "وأن صحائف أعمال"...إلخ، والخلاف لفظي، فإن الصحف أجسام - أيضا - فيرتفع الإشكال .

ويحتمل أن الموزون: العمال أنفسهم مع عملهم؛ لظاهر حديث البخاري عن أبي هريرة رفعه: "إنه ليؤتى بالعظيم الثقيل فلا يزن عند الله جناح بعوضة"[1]. وفي لفظ: "يأتي الرجل الأكول الشروب العظيم فيوزن بحبة فلا يزنها"

وفي حديث أحمد وغيره: أن ابن مسعود كان يجني سواكا، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تلقيه، فضحك القوم. فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: "مما تضحكون؟!". قالوا: "من حموشة ساقيه". قال: "والذي نفسي بيده؛ لهما في الميزان أثقل من أُحُد"[2]

وظواهر الأحاديث وأقوال العلماء: أن كيفية الوزن خفة وثقلا في الآخرة مثل كيفيته في الدنيا؛ يثقل فيها الأكثر قدرا، ويخف الأقل. وما ثقل؛ نزل إلى الأسفل ثم يرفع إلى عليين، وما خف؛ طاش إلى أعلى ثم نزل إلى سجين. خلافا لما صرح به ابن أبي جمرة[3] في "بهجة النفوس" من أن: كفة الثقل ترفع إلى فوق .

(1) أخرجه البخاري في صحيحه تفسير سورة الكهف، باب: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾، رقم 4729، ومسلم في صحيحه رقم 2785، في صفة القيامة، من طريق الأعرج عن أبي هريرة.

(2) رواه أحمد في "المسند" 1/ 450 رقم 920، وقال العلامة أحمد شاكر: "إسناده صحيح". و له شواهد من حديث قرة بن إياس، وذلك عند الحاكم في "المستدرك" 3/ 317 من طريق معاوية بن قرة عن أمية. و قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

(3) محمد بن أحمد بن عبد الملك بن أبي جمرة الأموي بالولاء، أبو بكر. مالكي من أعيان الأندلس. ولد بمرسية سنة 518 هـ و تفقه وولي خطة الشورى إرثا عن آبائه وهو في نحو الحادية و العشرين، وامتحن بآخرة من عمره في امتناعه عن قضاء مرسية، فأقام بها إلى أن توفي سنة 559هـ. من كتبه: "نتائج الأبكار و مناهج النظار في معاني الآثار"، و"إقليد التقليد". له ترجمة في "التكملة" 276. و"شذرات الذهب" 4/ 347. و"الأعلام" 5/ 329.

والمتبادر: أن الرجحان حسي لا معنوي .

وقيل: تجعل جميع أعمال العباد في الميزان مرة واحدة؛ الحسنات في كفة النور، والسيئات في كفة الظلمة، ويجعل الله لكل إنسان علما ضروريا يفهم به خفة أعماله وثقلها .

الشيخ زروق: "والصواب في هذا كله: الوقف بعد إثبات الميزان، ولا يتعرض لتعدده وانفراده، ولا لكيفية الوزن فيه؛ إذ لم يصح شيء من ذلك عن الشارع صلى الله عليه وسلم، والله تعالى أعلم بحقائق الأمور، وسترد وتعلَم، وربك أعلم .

الأمور التي يوزن بها الميزان

وأما الأمور التي يوزن بها؛ فقال بعض العلماء: كمثاقيل الذر، تحقيقا للعدل، قال: "وأقول: يفهم من قولهم: توضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة؛ أن الصنج إنما يحتاج إليه من له حسنات فقط، أو سيئات فقط".

ابن ناجي(1): "إذا وقع الوزن بين [9] العباد في المظالم والحقوق، ونفدت حسنات الظالم قبل فراغ ما عليه؛ فإنه يؤخذ من سيئات المظلوم ويطرح على الظالم، فطرح في النار، كما في حديث مسلم: أتدرون من المفلس؟. قالوا: يا رسول الله؛ المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع!. قال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام، وقد شتم هذا، وضرب هذا، وأخذ مال هذا. فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه؛ أخذ من سيئاتهم فطُرح عليه ثم طرح في النار(2)".

---

(1) قاسم بن عيسى بن ناجي، أبو الفضل وأبو القاسم. فقيه حافظ من أهل القيروان، مات فيها، وولي القضاء في عدة أماكن. له كتب منها: "شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني"، و"شرح المدونة"، و"زيادات على معالم الإيمان". (ت837). له ترجمة في "الضوء اللامع" 11/ 137، و"الأعلام" 5/ 179.

(2) رواه الإمام أحمد في مسنده 2/ 202-214-224، ومسلم في صحيحه كتاب البر، والترمذي في سننه كتاب القيامة.

"فإن لم يكن للمظلوم سيئة ولا للظالم حسنة؛ فيعطى المظلوم من الثواب بقدر ما يستحقه على الظالم، ويزاد في عقوبة الظالم بقدر ما كان يأخذ منه المظلوم أن لو كان ثم مما يؤخذ"

"فإن كان المظلوم ذميا والظالم مسلما؛ فقيل: يسقط حقه كالحربي، وقيل: يصير حقا للنبي صلى الله عليه وسلم يطلب به. لقوله: من آذى ذميا؛ كنت خصمه يوم القيامة. ولا يعارضه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾. أي: لا تحمل نفس ذنب أخرى؛ لأن الآية في شخصين لا حق لأحدهما على الآخر. ومحل الطرح المذكور: إذا مات الظالم وهو قادر على القضاء، وإلا؛ فلا يطرح عليه من سيئاته شيء".

اللقاني: "لم أقف على ماهية جِرمه من أي الجواهر، كما لم أقف على أنه موجود الآن أو سيوجد".

السعد: "هو عبارة عما يُعرف به مقادير الأعمال، والعقل قاصر عن إدراك كيفيته"

الحكمة من الوزن بالميزان

وحكمة الوزن مع إحاطة علمه تعالى بكل شيء أمور؛

منها: إظهار حال العباد لهم، فيكون لهم الثقل لهم بشارة. أي: للعبد على حسن العاقبة، وأمارة لعدم الخلود في النار إن قلنا أن الإيمان يوزن مع حسناته. وعليه؛ فكل مؤمن يثقل ميزانه، لأن الإيمان لا يثقل عليه شيء، فلا يخف ميزان مؤمن خفة موبقة، كما أن كل كافر يخف ميزانه .

وهذا هو الذي قد يدل عليه القرآن، ويتم به المقابلة، فيكون معنى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾. إما ابتداء، أو في ثاني حال بعد تعذيبهم على ما أراد الله. لكن الذي تدل عليه الآي والأخبار: أن من ثقل ميزانه؛ لا يعذّب أصلا

أو يكون الثقل أَمَارة على العفو. إن قلنا: إن الإيمان لا يوزن، وإنما يوزن

غيره من حسناته. وعليه؛ فقد يثقل الله الحسنة الواحدة على ملء الأرض كبائر إذا قابل بالفضل، فيكون ثقل الحسنة أمارة على عدم المؤاخذة بسيئاته، لوجود مكفّر لها في حسناته؛ من توبة أو حج أو جهاد مقبولين، أو بمجرد عفو الله تعالى .

وقد يثقل السيئة الواحدة على ملء الأرض حسنات، ويوقف ثوابها على فراغ عقوبة السيئة إذا قابل بالعدل. فيكون ثقل السيئة أمارة على المؤاخذة بها من غير أن يسقط من ثواب الحسنات بسبب خفته بشيء أصلا، بل هي مدخرة له يجد ثوابها بعد خروجه من النار، ونفود الوعيد فيه .

ولهذا قال في "الحِكَم": "لا كبيرة إذا قابلك فضله، ولا صغيرة إذا قابلك عدله". [10]

ومنها: امتحانهم بالإيمان بالغيب في الدنيا

ومنها: تعريف ما لهم من الجزاء على الخير والشر؛ إذ به يعلم مقدار ثواب الحسنات المقبولة، ومقدار عقاب السيئات المؤاخَذ بها. ولهذا جُعلت الثلاثة - التي هي: الحساب، وأخذ الصحف، ووزن الأعمال - مرتّبة هكذا .

فالحساب: تعريف العبد بكل ما عمل في عمره، منذ كُلف إلى أن مات، بخلق علم ضروري له بجميع ذلك. فلما علم به جميع أعماله؛ وقع الجهل بما هو منها حسنة مقبولة، ومما هو منها سيئة مؤاخذ بها، فبين هذا في صحيفة عمله التي يقرأها. ولما عرف منها المقبول من الحسنات والمردود منها، والمغفور من السيئات والمؤاخذ به منها؛ جهل مقدار ثواب المقبول من الحسنات ومقدار عقاب المؤاخذ به من السيئات، فبين له ذلك في وزن الأعمال. كما لأبي عبد الله المسناوي[1] في جواب له عن هذا السؤال .

---

(1) محمد بن أحمد الدلائي البكري المالكي المعروف بالمسناوي. إمام مشارك في كثير من العلوم، توفي عام 1136هـ. من تصانيفه: "الاستنابة في إقامة الصلاة"، و"جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر".

ومنها: إقامة الحجة عليهم أو لهم، إظهارا لكمال العدل. نظير قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾. [الجاثية/ 45]. فأخبر بنسخ الأعمال مع علمه بها .

ومنها: إظهار السعادة والشقاوة لعامة أهل المحشر، زيادة في المسرة والمساءة. ويدل له: حديث نداء الملَك السابق.

مخصوصون من بين من توزن أعمالهم

وظاهر قوله: "بني آدم"، وقول الرسالة: "العباد": العموم، فيتناول المؤمنين؛ طائعهم وعاصيهم، والكافرين. لكن يخصه من هذا العموم: الأنبياء تشريفا لهم، والأطفال، ومن يدخل من الباب الأيمن من هذه الأمة كما ورد في حديث، والسبعون ألفا الذين ورد أنهم يدخلون الجنة بغير حساب ومن ألحق بهم؛ وهم: الذين لا يكتوون، ولا يسترْقون، ولا يتطيّرون، وعلى ربهم يتوكلون[1].

عن عمران بن حصين قال: "نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الكي"[2]. وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم: كوى سعد بن معاذ[3]، والحديثان معا في أبي داود.

ابن عبد السلام: "الكي يكون عند قيام أسبابه، فيرجح فعله لما فيه من نفي الضرر وعند قيامها، كما يحكى عن التُرك أنهم يفعلون ذلك ليزيلوا

---

(1) رواه الإمام أحمد (4/ 436-441) ح 2321، والبخاري في صحيحه كتاب الطب، باب من يدخل الجنة من غير حساب (ح 6059)، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان (ح 320)، والترمذي في سننه (ح 2370).

(2) رواه الإمام أحمد (4/ 156)، والبخاري في صحيحه كتاب الطب (باب الشفاء في ثلاث) حديث رقم 4248، وأبو داود في سننه كتاب الطب(ح 3367)، والترمذي في سننه كتاب الطب (باب ما جاء في كراهية التداوي) (ح 1972) و (ح 1973).

(3) رواه الإمام أحمد في "المسند" باب مسند جابر بن عبد الله (ح 14576)، وأبو داود في الكي (ح 3368)، وابن ماجه (باب من اكتوى) ح 3485.

ومن لم يكن له من الكفار حسنة ولا عمل خيرا قط، كما قال تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾. [الرحمن/ 55]. ومن عداهم يحاسَبون ويُنصب لهم الميزان، بدليل: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾. . .إلخ. [المؤمنون/ 193]، في الكفار بدليل: ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾، في آخرها. وأما: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾؛ فالمراد: نافعا، أو: لهم لا عليهم، أو: لا أثقِل لهم ميزانَ فعلٍ صالح.

ويخرج بقوله: "بني آدم": الملائكة؛ لأنه فرع عن الحساب.

الوزن ليس مقاصة بين العبد وربه

ولا يكون الوزن مقاصة بين العبد وربه كما ذهب إليه الجُبّائي[1] من المعتزلة، فقال: "توزن السيئات، فما فضل من الخير للعبد دخل به الجنة، وما بقي عليه من السيئات خلد به في النار"

فإن ذلك باطل لا يصح، ولا قائل به من أهل السنة. ومع اتفاق أهل الحق على فساد هذا المذهب؛ فهو الذي يعتقده كثير ممن يتعاطى العلم فضلا عن العامة. ومذهب أهل الحق: أن العبد إذا أتى بطاعات كأمثال الجبال[2]، ثم كانت له مخالفة واحدة؛ فهو في المشيئة، فلله تعالى أن يعاقبه عليها ويعطيه ثواب طاعته، وله أن يغفرها.

ترجمة مجاهد بن جبر

(وقال مجاهد): ابن جَبْر، بفتح الجيم وسكون الموحدة، وقيل: جُبير

"الكبير" وفيه مجاعة بن الزبير وثقه أحمد وضعفه الدارقطني". وفي "المجمع" أيضا (ح 305) ذكر طريقا آخر رواه الطبراني في "الكبير" وفيه سعد بن طريف وهو ضعيف جدا. وأورده ابن الجوزي في "الموضوعات" 3/ 20.

(1) أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمزة بن أبان الجبّائي. إمام المعتزلة في عصره، و إليه تنسب الطائفة الجبائية، له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب، وينسب إلى جبى من قرى البصرة. توفي سنة 303هـ. له ترجمة في "وفيات الأعيان" 1/ 480، و"البداية والنهاية" 1/ 125، و"الأعلام" 6/ 256.

(2) قال أبو سعيد الخدري: "يؤتى بأعمال كجبال تهامة فلا تزن شيئا".

الطبيعة، فلا يصل الداء إلى الجسد، فيترجح تركه لما فيه من ضرر، وهو المنهي عنه".

والمنهي عنه من الرقى: ما كان بغير لسان العرب فلا يفهم معناه، وقد يكون فيه سحر أو نحوه من المحظور، ولا يدخل فيه التعوذ بالقرآن ونحوه.

والتطير: جزر الطير وإزعاجها عن أوكارها عند إرادة الخروج للحاجة، حتى إذا مرت على اليمين؛ تفاءل به ومضى على وجهه، وإن مرت على الشمال؛ تشاءم به وقعد. وهذا من فعل الجاهلية.

والتوكل على الله: الاعتماد عليه والوثوق به. وفي حديث أبي أمامة عند الترمذي وحسّنه، مرفوعا: "وعدني ربي أن يُدخل من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عقاب، مع كل ألف سبعين ألفا، وثلاث حثيات من حثيات ربي عز وجل"[1]. [11]

"النهاية": "هو كناية عن المبالغة والكثرة، وإلا؛ فلا كف ولا حثي، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا"

وحديث: "مع كل واحد"، في سنده راو ضعيف الحفظ، وآخر لم يُسم. قاله القسطلاني.

وأهل البلاء كما في الحديث: "أنهم لا يُنصب لهم ميزان، ولا يُنشر لهم ديوان، يُصب عليهم الأجر صبا كما كان البلاء يصب عليهم صبا، فيود أهل العافية في الدنيا أن لو كانت أجسامهم تُقرض بمقاريض الحديد؛ لما يرون مما يذهب به أهل البلاء من الأجور. فذلك قوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾"[2].

---

(1) رواه الترمذي ح 2361، وابن ماجه باب صفة محمد صلى الله عليه وسلم(ح 4276)، وابن أبي شيبة (ح 76)، وذكره الألباني في "صحيح الجامع" (ح 7111).

(2) "حلية الأولياء" 3/ 91، وقال أبو نعيم: "هذا حديث غريب من حديث جابر بن زيد الجعفي وقتادة، تفرد عنه مجاعة بن الزبير". وفي "مجمع الزوائد" قال الهيثمي: "رواه الطبراني في =

بالضم مصغرا، والأول أكثر، المخزومي، مولاهم، المكي، الثقة الحافظ، الإمام في التفسير وفي العلم، أحد الأعلام المجمع على إمامته، وذكر ابن حبان له في "الضعفاء" مردود. مات بمكة وهو ساجد سنة 103، وقيل غير ذلك، خرّج له الستة. روي عنه أنه قال: "عرضتُ القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة[1]، وكان ابن عمر يأخذ لي الركاب ويسوّي علي ثيابي إذا ركبت" - في تفسير: ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾. [الإسراء/ 35].

معنى القسطاط وهل وقع المعرّب في القرآن؟

(القُسطاط): بالضم والكسر، وقرئ بهما في السبعة: الميزان، وأقوم الموازين.

وهو: ميزان العدل، أي ميزان كان عرفي مأخوذ من القسط، وهو العدل، كالقسطاس. أو: رومي معرّب. والجمع: قساطيط. قاله في "القاموس" و"المصباح". ويقال: القسط والقسطاط والقسطار، بالراء .

ويلزم على الثاني: وقوع المعرّب في القرآن، وبه قال بعض الأصوليين، وهو كما في "جمع الجوامع" لفظ غير علَم استعملته العرب في معنى وُضع له في غير لغتهم .

وذهب الشافعي وابن جرير والأكثر إلى عدم وقوعه فيه؛ إذ لو وقع فيه لاشتمل على غير عربي، فلا يكون كله عربيا. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾. [يوسف/ 2]. وهذا ونحوه اتفق فيه لغة العرب ولغة [12] غيرهم.

(العدل): القصد في الأمور، وهو خلاف الجور، وما قام في النفوس أنه مستقيم.

(1) وفي رواية: "عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات". وقد وفق العلماء بين الروايتين وقالوا: الثلاثين عرضة هي عرضات حفظ، والعرضات الثلاثة هي عرضات التفسير.

(بالرومية): أي: بلغة الرُّوم (بالضم) جيل من ولد الروم ابن عيصو؛ رجل رومي.

وقال: (القسط مصدر المقسط): مصدره الجاري على فعله الأقساط؛ لأنه اسم فاعل أقسط الرباعي، بمعنى: عدل. لكن كثيرا ما يتسامحون فيطلقون المصدر ويريدون اسمه.

(و هو) أي: المقسط.

(العادل): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾. [الحجرات/ 9]، "المقسطون على منابر من نور يوم القيامة"(1).

الفرق بين المقسط والقاسط

وأما (القاسط): اسم فاعل قَسَط الثلاثي؛ بمعنى: جار.

(هو الجائر): ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥﴾. [الجن/ 73].

فلم أر مثل العدل للمرء رافعا ولم أر مثل الجور للمرء واضعا

لكل ولاية لا بد عزلُ صروف الدهر عقد ثم حل

وأحسن سيرة تبقى لوال على الأيام: إحسان وعدل

ومن "أزهار(2) الرياض" للمقري(3) رحمه الله: "وقال الشيخ العلامة أبو

(1) رواه أحمد (2/ 160)، (62042)، ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة (ح3406)، والنسائي في آداب القضاء (ح5284).

(2) في الاصل "زهر الرياض"، والصحيح هو "أزهار الرياض".

(3) أحمد بن سعد بن أحمد بن يحيى أبو العباس المقري التلمساني، المؤرخ الأديب، الفقيه المحدث الحافظ، صاحب "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها ابن الخطيب". ولد ونشأ في تلمسان، انتقل إلى فاس فكان خطيبها والقاضي بها، ومنها إلى القاهرة وتوفي بها ودفن في مقبرة المجاورين سنة 1041هـ والمقري نسبة إلى مقَّرة من قرى تلمسان. له كتب جيدة منها "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض"، و"حسن الثنا في العفو عمن جنى"، و"إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة"، و"زهر الكمامة في العمامة". له ترجمة في "فهرس الفهارس" (1/ 337)، و"الأعلام" (1/ 237).

زيد عبد الرحمن الغرناطي المعروف بالقصير: حضرت مجلس القاضي أبي الفضل عياض[1] رحمه الله تعالى، إذ كان عندنا بغرناطة، وبه جماعة من الطلبة يسمعون تأليفه المسمى بالشفا، فلما وصل القارئ إلى قوله: ومن حكم به أقسط. قرأه ثلاثيا، وكذلك كان في الأم التي كان يقرأ فيها. فقلت للقاضي: هذا لا يجوز في هذا الموضع. فقال: ما تقول؟. فقلت: إنما هو أقسط؛ لأن المراد في هذا الموضع عدَل، فالفعل منه رباعي، قال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾. وأما قسط؛ فهو: جارَ. قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾، فتعجب وقال لمن حضر عنده: إن هذا الكتاب قد قرأه علي من لا يحصى كثرة، وما تنبه أحد لهذه اللفظة. وأورثني ذلك عنده كرامة ومبرة لم تزل مستمرة" أهـ.

وهذا هو المشهور. وفي "المصباح": "قَسَط قَسطا، من باب: ضرب، وقسوطا: جار وعدل أيضا. فهو من الأضداد. قاله ابن القطاع" أهـ.

وفي حاشية الشمني على "الشفا": "وحكى يعقوب في كتاب "الأضداد" أن: قسط يأتي بمعنى عدل" أهـ.

قيل: ومنه: ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾، ويحكى أن الحجاج لما أحضر سعيد بن جبير قال: ما تقول في؟. قال: قاسط عادل. فأعجب ذلك الحاضرين. فقال الحجاج: ويلكم؛ لم تفهموا، جعلني جائرا كافرا، ألم تسمعوا: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾، ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾. [الأنعام/ 2]؟!"

---

(1) المحدث الفقيه الأديب المؤرخ، المحدث الحافظ، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى السبتي المالكي صاحب "الشفا"، و"ترتيب المدارك". كان إمام أهل الحديث في وقته، وأعلم الناس بعلومه، وبالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم. ولي قضاء سبتة وغرناطة. مات سنة أربع وأربعين. له ترجمة في "إنباء الرواة" (2/ 263)، و"البداية والنهاية" (12/ 225)، و"تذكرة الحفاظ" (4/ 9697)، و"جذوة المقتبس" 277، و"الديباج المذهب" ص168، و"شجرة النور الزكية" 140/ 142، و"فهرس الفهارس" (ح183)، و"سلوة الأنفاس" 1/ 151، و"الاستقصا" (1/ 141-145).

ترجمة أحمد بن إشكاب

(نا أحمد بن إشكاب): في "القاموس": "وأحمد بن إشكاب (بالكسر ممنوعا) محدث". أهـ .

وفي القسطلاني والشيخ زكريا: "بكسر الهمزة وفتحها، والصرف وعدمه، بناء على أنه عربي أو عجمي". أهـ .

وإشكاب: لقبه. واسمه: مُجمَّع، أو: مَعْمَر، أو: عبيد الله. وكنيته: أحمد (كذا). أبو عبد الله الصفار الكوفي ثم المصري. قال البخاري: "وهو آخر من لقيت بمصر"

وابن [13] إشكاب متعدد: محمد، وعلي، وهذا. ولا قرابة بينهم.

ترجمة محمد بن الفضيل الضبي وتفرده برواية الحديث

(نا محمد بن فضيل): مصغرا، الضبي؛ نسبة إلى: ضبة بن أُدّ عم تميم بن مر. قال الحافظ: "لم أر هذا الحديث إلا من طريقه بهذا الإسناد، وقد أخرجه أحمد والستة عدا أبي داود، وكلهم من طريقه. قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب". فبدأ بحديث غريب[1] وختم بحديث غريب كما أن الدين بدأ غريبا وسيعود غريبا".

(عن عُمَارة): بضم العين المهملة وفتح الميم المخففة.

(ابن القَعْقَاع): بعين ساكنة بين قافين، ابن شبرمة الضبي أيضا، الكوفي.

(عن أبي زُرعة): بضم الزاي. هرم، أو عبد الرحمن البَجلي، نسبة إلى: بَجِيلة، كسفينة. حي باليمن من مَعَدّ.

(1) الحديث الذي ابتدأ به البخاري صحيحه هو: "إنما الأعمال" و هو حديث غريب، رواه عمر بن الخطاب ولم يروه عن عمر إلا علقمة بن وقاص الليثي، وعنه محمد بن إبراهيم التيمي وعنه يحيى بن سعيد الأنصاري، ورواه عنه خلق كثير قيل خمسون ومائتين وقيل سبعمائة.

(عن أبي هريرة رضي الله عنه): ترجمته مبسوطة في تقييدنا في آخر ترجمة من أبي داود.

قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلمتان"): تثنية كلمة، بمعنى: كلام. أي: كلامان. ومنه: كلمة الشهادة، وكلمة بها كلام قد يُأم، خبر؛ لأنه محط الفائدة باعتبار وصفه بما بعده، قدم على مبتدئه بتشويق السامع إلى المبتدأ، أو التطويل بحسن الأوصاف بعد مما يزيده تشويقا.

معنى المحبة عند الله تعالى

(حبيبتان): تثنية حبيبة، بمعنى: محبوبة. والمراد: أنهما محبوبتان في أنفسهما؛ لدلالتهما على تنزيه الباريء عما لا يليق به، واشتمالهما على الثناء عليه بما يستحقه. أي: أن يجب أن يُذكرهما ويُثنى عليه بمضنهما؛ إذ لا أحد أحب إليه المدح منه تعالى، فبإسناد الوصف إليهما، حقيقي أو مجازي. أي: محبوب قائلهما؛ لدلالتهما على حسن اعتقاده وصحة معرفته وصدق توجهه. ولأنهما من النوافل التي لا يزال العبد يتقرب بها إلى الله حتى يحبه، لقوله في الحديث القدسي: "لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه". وإذا أحب الله تعالى عبده؛ غطى وصفه بوصفه، ونعته بنعته؛ لقوله فيه: "فإذا أحببته؛ كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه"[1]

والمراد: أن تصرفاته كلها تكون لله وبالله، لا بمقتضى شهوة النفس؛ فهو كناية عن غاية الحفظ والتولي، فلا يكِله إلى نفسه طرفة عين. ومحبة الله تعالى للعبد: تقريبه من نفسه بدفع الشواغل عنه والمعاصي، وتطهير باطنه عن كدرات الدنيا برفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه وإرادته ذلك

(1) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه رقم20301 مرسلا عن الحسن، وابن أبي شيبة رقم 17330 عن حسان بن عطية مرسلا، وأحمد 6/ 656، والبخاري في كتاب الرقائق حديث رقم 6502.

به في الأزل. قاله في "الإحياء".

وقال غيره: "رضاه عنه وإقباله عليه وكشفه الحجاب عن قلبه، حتى يصير علمه به تعالى ضروريا، ويصير التوحيد معنى قائما في نفسه لا يغفل عنه ولا يأنس بغيره ولا يأوي إلا إليه"

ومحبة الله تعالى لعبده أصل محبة العبد لربه؛ بدليل: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾. [المائدة/ 54].

قال أبو يزيد رضي الله عنه: "تهت في بدايتي في ثلاثة أشياء: كنت أظن أني أحببته وطلبته وذكرته، فرأيت ذكره لي قد [13] سبق ذكري له، وطلبَه لي قد سبق طلبي له، وحبه لي قد سبق حبي له. فالكل به وبفضله"

ومحبة العبد لربه: أخذ جماله بحبة قلبه، حتى يتعدى ذلك إلى جوارحه فتكون في طوعه، كما قيل: "أبت المحبة أن تستعمل محبا لغير محبوبه". ولا يجد مساغا للالتفات لسوى المحبوب، ومتى وقع الالتفات نقص الحب على قدره. قال ابن جزي[1] في تفسيره: "وإذا تمكنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح"

والجد في طاعته والنشاط في خدمته، والحرص على مرضاته والتلذذ بمناجاته، والرضا بقضائه، والشوق إلى لقائه، والأنس بذكره، والإستيحاش من غيره، والفرار من الناس، والانفراد في الخلوات، وخروج الدنيا من القلب، ومحبة كل ما يحب الله وكل من يحبه الله، وإيثار الله على كل ما سواه. تعصي الإله. . .

(1) أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، من ذوي الأصالة والوجاهة والنباهة والعدالة، من مؤلفاته: "القوانين الفقهية"، و"وسيلة المسلم في تهذيب صحيح المسلم"، و"الأقوال السنية في الكلمات السنية"، و"الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الاخبار". توفي شهيدا في واقعة طريف سنة إحدى وأربعين وسبعمائة. له ترجمة في "الدرر الكامنة" 3/ 356. و"نفح الطيب" 3/ 272، و"الأعلام" 5/ 325.

(إلى الرحمن): خصه بالذكر؛ لمناسبته هنا؛ إذ المقصود: بيان سعة رحمته على عباده، وعظيم فضله عليهم حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الكبير. وهذا الاسم دال على عظم رحمته وعمومها واتساعها.

(خفيفتان على اللسان): للين حروفها وقلتها، وسهولة خروجها من مخارجها، فالنطق بها سريع، فالخفة هنا مستعارة للسهولة كما قاله الطيبي.

(ثقيلتان في الميزان)[1]: حقيقة عند أهل السنة المثبتين للوزن، لكثرة الأجور المدخرة لقائلهما، والحسنات المضاعفة لذاكرهما.

(سبحان الله وبحمده): مبتدأ محكي، لفظه.

(سبحان الله العظيم): معطوف عليه بإسقاط حرف العطف، محكي قصد لفظه أيضا. والخبر: "كلمتان"، وما بينهما نعوت للخبر. أي: سبحان الله وبحمده وسبحان الله العظيم.

الحكمة من تسبيق الجزاء على الفعل في هذا الحديث

(كلمتان حبيبتان)...إلخ: والموجب لجعل الجزاء المؤخر هنا مبتدأ؛ هو: أن القصد الحض على هذا التسبيح ببيان فضيلته ومزيته وخصوصيته التي يجهلها المخاطب، فما أفاد ذلك فهو الأحق يجعله مسندا. وترجيح ابن الهمام خبرية "سبحان الله"...إلخ، فيه نظر من وجهين، وفي رواية بتأخير: "حبيبتان إلى الرحمن" عن النعتين الأخيرين، وجعل كل من "العظيم وبحمده" في موضع الآخر كما تقدم في باب فضل التسبيح من كتاب الدعوات، وفي أخرى بتأخير "حبيبتان إلى الرحمن" عن النعتين الأخيرين فقط كما تقدم أيضا في باب: إذا قال: "والله لا أتكلم اليوم"...إلخ من كتاب الإيمان .

(1) قال ابن حجر في "الفتح" حين شرحه لهذه الجملة من الحديث: "هذا هو موضوع الترجمة، لأنه مطابق لقوله: وأن أعمال بني آدم توزن". (15/ 525).

الحكمة من ذكر اسم الجلالة في "سبحان الله"

و(سبحان الله): علم على التسبيح؛ وهو: التقديس والتنزيه. أي: أنزه الله ذاتا وصفاتا وأسماء عن جميع النقائص وما ليس لائقا بجلاله ولا مناسبا لبهائه وكماله، مما يقوله الجاحدون وأعداء الله من الصاحبة والولد وغيرهما. ولذلك أضيف هنا لخصوص اسم الجلالة الدال على الذات المتصفة بالصفات، فيعم التنزيه الكل .

ولو قيل: "سبحان العليم" مثلا؛ لتوهم أن المقصود: تنزيهه من حيث اتصافه بصفة العلم على أن تتعلق ببعض المعلومات دون بعض، أو معناه: السرعة إليه والخفة في طاعته.

معنى قوله "وبحمده"

ومعنى: "وبحمده": أحمده بجميع الكمالات، [14] وجمع بينهما لأن صفات الباري على قسمين: سلبية وثبوتية[1]، فالتسبيح: إشارة الى السلبية، والتحميد إلى الثبوتية[2]. ولما كانت التخلية مقدمة على التحلية طبعا؛ قدم التسبيح على التحميد وضعا .

وقال الخطابي[3]: "معنى وبحمده: وبمعونته التي هي نعمة توجب على

(1) الصفات السلبية هي: التي تدل على سلب أمر لا يليق بالله تعالى، ومنها: صفة القدم، ومعناها: سلب الحدوث، وصفة البقاء، ومعناها: سلب الفناء. والصفات الثبوتية: وهي صفات ثبتت لله تعالى نتيجة اتصافه بصفات المعاني، فعندما ثبتت نسبة القدرة إليه عز وجل اقتضى أنه قدير، ولما ثبتت نسبة السمع إليه عز وجل اقتضى أنه سميع. وهذا التقسيم ليس من صلب العقيدة ولكنه ثمرة البحوث المنطقية العقلية في قضايا التوحيد.

(2) قال ابن حجر نقلا عن الكرماني: "فالتسبيح إشارة إلى صفات الجلال، والتحميد إشارة إلى صفات الإكرام". "الفتح" (15/ 526).

(3) حمد بن حمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، أبو سليمان. فقيه محدث من أهل بست من بلاد كابل من نسل زيد بن الخطاب (أخي عمر بن الخطاب)، له "معالم السنن في شرح سنن أبي داود"، و"بيان إعجاز القرآن"، و"إصلاح خطأ المحدثين"، و"غريب الحديث". توفي في بست سنة (388هـ). له ترجمة في "وفيات الأعيان" 1/ 106، و"إنباه الرواة" 1/ 125. و"البداية والنهاية" (11/ 236)، و"الأعلام" 2/ 272.

حمده سبحته، لا بحولي وقوتي". فيكون مما أقيم فيه المسبب مقام السبب، وهذا ظاهر في أن الباء للاستعانة متعلقة بمحذوف، وكرر التسبيح اعتناء بشأنه من جهة كثرة الواصفين له بما لا يليق بجلاله، بخلاف أوصاف الكمال؛ فلم ينازع في ثبوتها له أحد، وإنما وقع النزاع في كيفية ثبوتها.

معنى قوله "العظيم" وبعض ما يتعلق بذلك في ملكوت الله تعالى

و(العظيم): من أسمائه تعالى الذي لا نسبة لأحد معه في علو شأنه وجلالة قدره ذاتا وصفاتا، وأسماء وأفعالا. أو: الذي انتفى عنه جميع صفات النقص، ووجب له به جميع صفات الكمال. وقيل غير ذلك. راجع ما قيدناه من "ختم المرشد"

ومن عرف أنه: العظيم؛ صغر في عينيه كل شيء. وما يقال فيمن له عبد يسمى جبريل، له ستمائة جناح، لو نشر منها جناحا لستر الخافقين، وهما المشرق والمغرب، أو أفقاهما أو طرفا السماء والأرض، أو منتهاهما كما في "القاموس"؟!

وأعطى إسرافيل قوة سبع سماوات وسبع أرضين، والريح والجبال، ومن رأسه إلى بطون قدميه أفواها وألسنة وهي مغطاة بأجنحة وريش، وكل ريشة منه وجناح يقدّس الله تعالى ويمجده. وينظر كل يوم إلى جهنم نظرة فيذوب خوفا من الله تعالى حتى يصير كوتر القوس، ثم يبكي كل ساعة بدمع لو انسكب من السماء لطبق الأرض، ولكن يخلق الله تعالى من كل قطرة ملَكا؟!

وأعطى حزقيائيل - ملكا معروفا - مائة ألف جناح، من جناح إلى جناح مسيرة خمسمائة عام، وخطر على باله هل فوق عرش ربنا شيء؟، فعلم الله منه ذلك، فطار مائة ألف سنة، فلم ينل رأس قائمة من قوائم العرش، فأوحى الله إليه: "لو طرتَ إلى يوم النفخ في الصور لم تبلغ ساق العرش"، فخر راكعا، وقال: "سبحان ربي العظيم"، فأُخذ التسبيح في الركوع من ذلك الملك، وهو أول من سبح الله تعالى!

ويتبادر من ذكر الأجنحة والطيران أنها كأجنحة الطيور، لها ريش. وليس كذلك، بل المراد بها: صورة ملكية، وقوة روحانية لا تفهم إلا بالمعاينة، ولا يعهد للطير ثلاثة أجنحة فضلا عن أكثر. وإذ لم يثبت خبر في كيفيتها؛ فنؤمن من غير بحث عن حقيقتها، قاله في "المرقاة".

وأذن له صلى الله عليه وسلم أن يحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السابعة [15] السفلى على عاتقه العرش، ومن شحمة أذنه إلى عاتقه خفقان - أي: طيران الطير - مسيرة مائة عام. العاتق: ما بين المنكب والعنق، وهو موضع الرداء[1].

الحديث فيه الحض على كثرة التسبيح

وفي حديث الباب: طلب الاعتناء بشأن التسبيح من جهة الحض عليه والترغيب فيه، ومن جهة تكريره بقوله: "سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"، وقد أخبر الله عن الملائكة في غيرما آية أنهم يسبحونه ويقدسونه، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف/ 206]، ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء/ 19، 20]، ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۚ﴾ [الزمر/ 56]، ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ [غافر/ 7].

كل المخلوقات تسبح الله حتى الجمادات

بل أخبر أن كل شيء يسبّحه، حيوانا أو نباتا أو جمادا، فقال: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ - من الملائكة والثقلين وغيرهما - ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء/ 44]. والمراد: أن كل شيء يسبح الله تعالى تسبيحا حقيقيا بلغته، ولكن لا

(1) فائدة أثبتها المؤلف داخل النص.

تفقهون][1] - معشر المشركين - تسبيحهم؛ لأنه بلغة غير لغتكم .

فالتسبيح: بلسان المقال، وهو الأرجح. قال أهل الكشف: "كل شيء يسبح الله بلسان فصيح، تسبيحا مسموعا بالآذان، مدركا بالقلوب، بإذن علام الغيوب"

وتقدم عن ابن مسعود: " كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل، وتسبيح الحصا في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم"[2]. وفي حديث أحمد: "فرب مركوبة خير من راكبها وأكثر ذكرا لله منه".

وقال بعض السلف: "إن خرير الماء تسبيحه، وصرير الباب تسبيحه". وأخذ أبو العباس الجزار بقرافة مصر مرة حجرا ليستجمر به، فقال الحجر: "سألتك بالله لا تنجسني!". فتركه ثم أخذ حجرا آخر، فقال له مثل ذلك. فتركه. ثم أخذ الثالث؛ فقال له مثل ذلك، فلم يتركه حتى قال للحجر: "إن الله تعالى هو الذي أمرني أن أتطهر بك، وهو خير لك!". فسكت الحجر. وقدم رضي الله عنه شرع الله على رضى الحجر .

أهل الحقائق يسمعون تسبيح الجمادات

وسماع كلام الجمادات يكون للسالك أول سلوكه، فيشهد الوجود كله حيوانا ناطقا. قاله القطب الشعراني، قال: "وقد سمعت نطق كل شيء سنة تسع وعشرين وتسعمائة، من صلاة المغرب إلى الثلث الأخير من الليل، فكاد عقلي يذهل، فتداركني الله برحمته، وحجب عني الأصوات، وأبقى علي العلم بذلك" أهـ.

وفي "الإبريز": "وسمعته - رضي الله عنه - يقول في أحاديث تسبيح

---

(1) ما بين المعقوفتين سقط أشار إليه المؤلف في الطرة.

(2) رواه الإمام أحمد(1/ 460) في مسنده رقم 4161، والبخاري في صحيحه كتاب المناقب (رقم 3314)، والدارمي في مقدمة السنن(5)، وأبو يعلى في مسنده (ح 5246)، والطحاوي في "مشكل الآثار" (ح 2865).

الحصا وحنين الجذع وتسليم الحجر وسجود الشجر ونحوها، إن ذلك هو تسبيحها دائما. وإنما سأل المصطفى ربه أن يزيل الحجاب عن الحاضرين حتى يسمعوا ذلك منها...قال: ولقد أخذت يوما حجرا فسمعته يسبح الله تعالى بأصوات عديدة، فتأملته فإذا هو معجون اجتمعت فيه عدة أحجار، فلذلك تعددت الأصوات" أهـ.

أحاديث وآثار في الحض على التسبيح

وجاء في السُنة أحاديث كثيرة في الترغيب في التسبيح، وفي جوامع منه، استوفاها سيدي عبد [16] العظيم المنذري[1] في "الترغيب والترهيب" في نحو نصف كراسة. فلتراجع فيه .

منها: "أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده"، "من قال: سبحان الله وبحمده مائة مرة؛ كتبت له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة"[2]، "من قال: سبحان الله وبحمده. غرست له نخلة في الجنة"[3]

"من قال: سبحان الله العظيم وبحمده. غرست له (شجرة)[4] في الجنة"[5]. "من قال: سبحان الله وبحمده. في يوم مائة مرة؛ حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر". "من قال: سبحان الله وبحمده؛ حط الله عنه

---

(1) الإمام العلامة الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، الشامي الأصل، المصري الشافعي. ولد في غزة، شعبان عام 581 هـ. تتلمذ على خلق كثير لقيهم بالحرمين ومصر والشام والجزيرة. من مؤلفاته: "المعجم"، و"مختصر صحيح مسلم"، و"مختصر سنن أبي داود"، و"الترغيب والترهيب". توفي - رحمه الله - يوم السبت رابع ذي القعدة سنة 656 هـ. له ترجمة في "سير أعلام النبلاء" 23/ 319 - 322، و"تذكرة الحفاظ" 4/ 1436-1439.

(2) أخرجه الطبراني عن ابن عمر، والمنذري في "الترغيب والترهيب" 2/ 347.

(3) سنن الترمذي، باب ما جاء في فضل التسبيح (ح 3386).

(4) ما بين المعقوفتين في الأصل "نخلة"، وقد صوب المؤلف في الطرة "شجرة".

(5) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ح2691، والترمذي في سننه كتاب الدعوات رقم3466، والمنذري في "الترغيب والترهيب" 2/ 348.

ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر"[1].

وفي وصية نوح عليه السلام لابنه: "وأوصيك بسبحان الله وبحمده؛ فإنها صلاة الخلق، وبها يرزق الخلق، وإنْ مِن شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم، إنه كان عليما غفورا"[2]

"من قال: سبحان الله وبحمده. كان مثل مائة بدنة إذا قالها مائة مرة"[3].

وروي أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله؛ إني ألممت بذنب عظيم، فماذا يكفره عني؟". فقال: "ذنبك أعظم أم السماوات؟". قال: "ذنبي أعظم". قال: "ذنبك أعظم أم العرش؟". قال: "ذنبي أعظم". قال: "ذنبك أعظم أم الله؟". أي: عفوه. قال: "بل عفو الله أعظم". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عليك بالجهاد". فقال: "يا رسول الله؛ إني أجبن الناس، ولولا أن أهلي يؤنسوني إذا خرجت ليلا ما كنت أفعله". قال: "عليك بالصلاة في جوف الليل". قال: "يا رسول الله؛ لولا أن أهلي يوقظوني لصلاة الصبح ما قمت لها". فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، ثم قال: "عليك بكلمتين خفيفتين على اللسان، ثقيلتين في الميزان، حبيبتين إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم". فقبل.

ولهذه الفضائل ونحوها تجد الناس عند الختم يكررون هاتين الكلمتين مائة مرة، اغتناما للإكثار من الأجر؛ لأنه إذا ثبت هذا في كلمة: سبحان الله وبحمده وحدها، فإذا أضيف إليها: الكلمة الأخرى؛ حصل الثواب الجزيل المناسب لها، فإذا كرر الجميع العدد المذكور؛ حصلت الغنيمة الباردة والتجارة الرابحة، مع ما في ذلك من التأسي بالمشايخ الذين لم يزالوا على

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه باب ما جاء في فضل التسبيح (ح 3388)، و ابن ماجه في سننه باب فضل التسبيح (3802).

(2) جزء من حديث رواه النسائي في سننه (رقم 10686).

(3) رواه الطبراني عن إبي أمامة، و المنذري في "الترغيب والترهيب" 2/ 351.

ذلك في الماضي ولا يزالون عليه في الاستقبال، والتعريض بالسؤال من الكريم المفضال:

إذا أثنى عليك المرء يوما كفاك مِن تعَرُّضه الثناءُ

فضائل التسبيح مخصوصة بأهل الشرف في الدين

ثم هذه الفضائل الواردة في التسبيح ونحوه؛ إنما هي لأهل الشرف في الدين والكمال، كالطهارة من الحرام والمعاصي العظام، لا فيمن أدمن عليه وأصر على ما شاء من شهواته، وانتهك دين الله وحرمته، ورضي عن نفسه، ولم يبال بما هو عليه. بل ربما استحسنه وافتخر به، ورأى مع ذلك أنه على شيء، وانفتحت له أبواب التأويل. فإن هذا [17] - والعياذ بالله - استخفاف بحرمات الله، فصاحب هذه الحالة على خطرعظيم.

ذكر مع غفلة خير من غفلة من غير ذكر

وأما العاصي المستقبح لحاله، الخائف من سوء كسبه، المنكسر قلبه، الطالب للخلاص مما هو فيه إن وجد إليه سبيلا؛ فهذا يرجَى فلاحه، وينفعه ذكره النفع البالغ.

وفي "الحِكم": "من استغرب أن ينقذه الله من شهوته، وأن يخرجه من وجود غفلته؛ فقد استعجز القدرة الإلهية. وكان الله على كل شيء مقتدرا".

وفيها أيضا: "لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك مع وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذِكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور، وما ذلك على الله بعزيز"

التسبيح مشروع في الختام

قال الحافظ: "والتسبيح مشروع في الختام، فلذلك ختم البخاري به كتاب

التوحيد، وقد ختم الحق جل جلاله سورا من كتابه به إرشادا للعباد إلى ما ينفعهم في المعاد، وتعليما لهم ما يختمون به مجالسهم التي لا تخلو من سقطات".

والحمد بعد التسبيح آخر دعوى أهل الجنة: ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ أي طلبهم ﴿فِيهَا﴾ أي لما يشتهون في الجنة أن يقولوا ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ أي يا الله فإذا ما طلبوه بين أيديهم يأتي به الملك فيسلم عليهم فيردون عليه فإذا أكلوا حمدوا الله ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٠﴾ [يونس/ 10].

فضيلة علم الحديث

هذا؛ وعن سفيان الثوري[1] قال: "ما أعلم عملا أفضل من طلب الحديث لمن أراد به الله عز وجل"[2]. ونحوه عن ابن المبارك[3]. وعن المعافى بن عمران[4] قال: "كتابة حديث واحد أحب إلي من صلاة ليلة"

---

(1) المحدث الفقيه الزاهد أبوعبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد زمانه في علوم الدين و التقوى. ولد بالكوفة سنة 97 و نشأ بها. قال فيه ابن المبارك: "لا أعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان". و قد راوده المنصور العباسي أن يلي القضاء فأبى، وخرج من الكوفة سنة 144، فسكن المدينة و مكة، ثم طلبه المهدي فتوارى وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفيا سنة 161هـ. من كتبه: "الجامع الكبير"، و"الجامع الصغير". له ترجمة في "وفيات الأعيان" 1/ 210، وطبقات ابن سعد 6/ 257، و"حلية الأولياء" 6/ 356، و"تهذيب التهذيب" 4/ 111-115، و"الأعلام" 3/ 105.

(2) مقدمة ابن الصلاح ص: 151.

(3) عبد الله بن المبارك: أبو أسامة، أمير المؤمنين في الحديث. قال الحسين بن عيسى: "اجتمع أصحاب ابن المبارك فقالوا: عدوا خصال ابن المبارك. فقالوا: جمع العلم والفقه والأدب، والنحو و اللغة، والزهد والشجاعة، والشعر والفصاحة، وقيام الليل والعبادة، والحج والغزو، والفروسية، وترك الكلام فيما لا يعنيه، والإنصاف وقلة الخلاف على أصحابه". (ت197). له ترجمة في "تذكرة الحفاظ" (1/ 174)، و"حلية الأولياء" 8/ 162.

(4) المعافى بن عمران الأزدي الموصلي، أبو مسعود، شيخ الجزيرة في عصره، وأحد الثقات من حفاظ الحديث، صنف كتابا في السنن والزهد والأدب والفتن وغير ذلك. مات سنة 175 عن نحو ستين سنة، له ترجمة في "تذكرة الحفاظ" 1/ 264، و"النجوم الزاهرة" (2/ 117)، و"تاريخ بغداد" 13/ 226، و"الأعلام" 7/ 260.

وفي أول "الجامع الكبير" : روى ابن عساكر في تاريخه عن أبي العباس المرادي قال: "رأيت أبا زرعة[1] في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟. فقال: لقيت ربي، فقال لي: يا أبا زرعة؛ إني أوتى بالطفل فآمر به إلى الجنة، فكيف بمن حفظ السنن على عبادي؟!. تبوأ من الجنة حيث شئت".

وفيه أيضا: "وروي - أيضا - عن حفص بن عبد الله قال: رأيت أبا زرعة في النوم بعد موته يصلي في سماء الدنيا بالملائكة، فقلت: بم نلت هذا؟. قال: كتبت بيدي ألف ألف حديث أقول فيها: عن النبي صلى الله عليه وسلم، قد قال صلى الله عليه وسلم: من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا".

ورؤي الشيخ عبد العظيم المنذري في النوم - حسبما في فهرست القصار[2] وغيرها - فقال لرائيه: "دخلنا الجنة وقبّلنا يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لنا: أبشروا؛ كل من كتب بيده: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو معه في الجنة".

وفي الحديث المتواتر [18]: "نضر[3] الله امرءا سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها"[4]

(1) الإمام الحافظ أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ الرازي (ت264).

(2) أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن علي القيسي القصّار، الغرناطي أصلا، الفاسي منشأ ودارا. الإمام الحافظ الحجة، المحقق النسابة، محدث المغرب وراوية فاس. اشتهر بكثرة المشيخة وكثرة الرواية وعالي الإسناد، حتى صار حامل راية الحديث بالمغرب. ولي إفتاء فاس وخطابة جامع القرويين. توفي - رحمه الله - في طريقه إلى مراكش سنة (1012هـ). له ترجمة في "روضة الآس" (316-332)، و"نشرالمثاني" (1/ 56)، و"شجرة النور الزكية" (215)، و"الفكر السامي" (4/ 107)، و"نيل الابتهاج" ص: 76، و"فهرس الفهارس" (2/ 316-318)، و"الأعلام" 7/ 6.

(3) قال المؤلف في الطرق: بالتخفيف هو أجود، وبالتشديد، وأكثر المحدثين عليه.

(4) أخرجه أحمد في "المسند" (الأحاديث رقم4157-13283-16683-16699-21482)، والترمذي في سننه كتاب 42باب7(ما جاء في الحث على تبليغ السماع)، حديث(2658). وابن ماجه في سننه (1/ 88-90) باب 10 (من بلغ منا)، أحاديث رقم 230-232-236)، والدارمي =

قال القاضي أبو الطيب الطبري[1]: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقلت: يا رسول الله؛ أنت قلت: نضر الله امرءا؟..وتلوت عليه الحديث جميعه، ووجهه الشريف يتهلل، فقال لي: نعم؛ أنا قلته".

دعا له صلى الله عليه وسلم بالنضارة التي هي الحسن والرونق والبهجة والسرور[2]. قال ابن عيينة[3]: "ليس من أهل الحديث أحد إلا وفي وجهه نضرة؛ لهذا الحديث"

أو بالوصول إلى نضرة الجنة، أي: نعيمها: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾. [الإنسان/ 11] .﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾. [المطففين/ 24] .

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم ارحم خلفائي". قلنا: يا رسول الله؛ ومن خلفاؤك؟". قال: "الذين يروون أحاديثي ويعلمونها الناس"[4].

= في مقدمة سننه (1/ 57) باب24، الاقتداء بالعلماء أحاديث رقم (233-235). وابن حبان في صحيحه (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لابن بلبان) (1/ 271) حديث 69. والحاكم في "المستدرك" (كتاب العلم)1/ 162 حديث رقم 294. والطبراني في "المعجم الأوسط" (13042-3072-5179-5292-6781-7004-7020-7953-9444).

(1) قاض من أعيان الشافعية، ولد بطبرستان سنة (348هـ)، وتوفي ببغداد سنة (450). من مؤلفاته: شرح مختصر المزني. له ترجمة في "تذكرة الحفاظ" 3/ 151، و"وفيات الأعيان" 1/ 292-249، و"الأعلام" (3/ 321).

(2) قال العلامة القسطلاني: "والمعنى خصه الله تعالى بالبهجة والسرور؛ لأنه سعى في نضارة العلم وتجديد السنة، فجازاه النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه بما يناسب حاله من المعاملة". (إرشاد الساري1/ 4). وقال أبو إسحاق إبراهيم بن عبد القادر الرياحي التونسي:

أهل الحديث طويلة أعمارهم ... ووجوههم بدعا النبي منضَرة

(3) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي، الأعور. أحد الأعلام. قال الشافعي: "لو لا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز". مات سنة(198هـ). له ترجمة في: "تذكرة الحفاظ" 1/ 262، و"حلية الأولياء" 7/ 270، و"صفة الصفوة" 2/ 130، و"ميزان الاعتدال" 1/ 397، و"تاريخ بغداد" 9/ 174، و"الأعلام" 3/ 105.

(4) رواه الطبراني في "الأوسط" (ح5842) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: "لم يرد هذا الحديث إلا عن هشام بن سعد، ولا عن هشام إلا ابن أبي فديك، تفرد به أحمد بن عيسى العلوي، وهذا قال الدارقطني: كذاب، وأورد له الذهبي هذا الحديث في ترجمته من "ميزان =

وقيل: كما أن أهل القرآن أهل الله، فأهل الحديث أهل رسول الله. وأنشدوا:

أهل الحديث همُ أهل النبي، وإن ... لم يصحبوا نفسه؛ أنفاسَه صحبوا[1]

أو ثلاث قد شغفت بحبها ... ما عبت في حوض المنية موردي

وهي: الرواية للحديث وكَتْبُه ... والفهم فيه، وذاك حب المهتدي

وفي همزية ابن زكري[2]:

وإذا ما الجناب كان عظيما ... مُد منه لخادميه لواء

وإذا عظُمت سيادة متبو ... ع أجل أتباعَه الكبراءُ

والأحاديث والآثار في هذا المعنى كثيرة جدا. راجع تقييدنا في آخر ترجمة من أبي داود.

= الاعتدال" وقال: باطل". وقال الألباني: موضوع". ينظر "ضعيف الجامع" (ح1189)، و"الضعيفة" (ح854).

(1) من إنشاد محمد بن الحسن النسوي، أورده الألباني في "صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم" ص 44 نقلا عن الحافظ ضياء الدين المقدسي في جزء له في فضل الحديث وأهله.

(2) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن زكري الفاسي، نبغ في أغلب العلوم حتى أصبح مشاركا موفقا علامة مدققا، له تآليف حسان، وخاصة حواشيه الممتازة حول صحيح البخاري في مجلدين مخطوطين، توجد في الخزانة العامة بالرباط تحت عدد2489ب241/ 244. ونسخة في الخزانة الملكية تحت عدد7876، وقد طبعت بفاس سنة 1367 في خمسة أجزاء، وشرح النصيحة الزروقية، و"الهمزية" التي عارض بها البوصيري، وشرحها في جزأين، و"الفوائد المتجهة في الفوائد المبتدعة". توفي سنة 1144هـ، له ترجمة في "الاستقصا" 4/ 127، و"سلوة الأنفاس" 1/ 158-161. ز"النبوغ المغربي" 1/ 288-289.

التعريف بالإمام البخاري

ومؤلف هذا الكتاب؛ هو: الشيخ الإمام، خاتمة الحفاظ الجهابذة[1] الأعلام، أمير المؤمنين في الحديث، وطبيب علله في القديم والحديث، وشيخ المشايخ في الرواية والتحديث؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن إسماعيل[2] بن إبراهيم[3] بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه[4] بن الأحنف الجُعفي[5] ولاء؛ نسبة لجد أبيه المغيرة؛ لكونه كان مولى ليمان بن أخنس الجعفي والي بخارى؛ لإسلامه على يده، وكان مجوسيا. عملا بمذهب من يرى أن من أسلم على يد شخص كان ولاؤه له[6]. الفارسي نسبا، البخاري بلدا؛ نسبة

(1) جمع جهبذ؛ وهو: الناقد البصير، الذي لا يروج عليه نقير ولا قطمير.

(2) قال المؤلف في الطرة: "كان من العلماء الورعين، يروي عن حماد بن زيد، ومالك، وجماعة. وصحب ابن المبارك، وقال عند موته: لا أعلم في جميع مالي درهما من شبهة. توفي وولده محمد صغير، وربى يتيما في حجر والدته".

(3) قال المؤلف في الطرة: قال الحافظ ابن حجر: "لم نقف على شيء من أخباره"، وقال غيره: "لم يُعرف له طلب في العلم".

(4) قال المؤلف في الطرة: "مات مجوسيا. ومعناه بالفارسية: الزراع". قلت: كذا ضبطه ابن ماكولا كما في "هدي الساري" (ص 501)-محقق.-

(5) نسبة إلى جعفي بن سعد العشيرة. ينظر "الأنساب" للسمعاني 3/ 268.

(6) الولاء: هو رابطة تجمع بين شخصين، وفيها ثلاثة أقسام:

- ولاء عتق: يكون سببه العتق، أي: أن يمن المعتِق على المعتَق بالحرية دون عوض، فتنشأ رابطة وتكون من أسباب الإرث.

- ولاء حلف: أي أن يحالف طرف طرفا آخر على التآزر والتناصر ورفع الظلم، فينسب إليهم ولاء. =

إلى بخارى، وهي: من أعظم مدن ما وراء النهر[1]، وبينها وبين سمرقند مسافة ثمانية أيام .

قال فيه إمام الأئمة ابن خزيمة[2]: "ما تحت أديم السماء - أي: ما ظهر منها - أعلم بالحديث منه"[3]. وقال بعضهم: "إنه من آيات الله يمشي على وجه الأرض!".

وقال الذهبي: "كان من أفراد العالم، مع الدين والورع، والتأله". أي: التنسك والتعبد. ألهم الحديث في المكتب وله عشر سنين أو أقل، ثم خرج من المكتب بعد العشر. وحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث أو أكثر سردا. وكان ينظر في الكتاب مرة واحدة فيحفظ ما فيه، وحفظ كتاب ابن المبارك ووكيع، وعرف أصحاب الرأي لما طعن في ست عشرة سنة، ولما طعن في ثمان عشرة سنة صنف كتاب "قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم"، و"التاريخ الكبير" عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمرة.

تفقه على الحميدي[4]، وغيره من أصحاب الشافعي، وكان يقول: كتبت

= - ولاء الإسلام: أي أن يسلم رجل على يد رجل فينسب إليه، فإذا كان السبب في إسلامه قرشيا؛ انتسب إلى قريش، فيقال له: قرشي.

(1) المراد بالنهر: نهر جيحون؛ وهو الموجود في شمال الشيشان، والمدينة ما تزال قائمة إلى الآن، وهي ضمن جمهورية أوزبكستان، وتبعد غربا عن عاصمتها بنحو ثلاثمائة كيلومتر. ينظر "بلدان الخلافة الشرقية" ص(130) لكي ليسترانج، ذكره الدكتور محمد السرار ضمن محاضراته في الحديث النبوي الشريف.

(2) إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري. طاف البلاد ورحل إلى الآفاق في طلب الحديث والعلم حتى صار بحرا من بحور العلم. مات سنة إحدى عشر وثلاثمائة. له ترجمة في "تذكرة الحفاظ" 2/ 720. و"الجرح والتعديل" 7/ 196.

(3) أخرجه الحاكم في "تاريخ نيسابور" ونقله عنه الذهبي في "السير" 12/ 431.

(4) الإمام العلم أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشي الأسدي الحميدي المكي. الحافظ الفقيه. أخذ عن ابن عيينة والفضيل بن عياض، وهو معدود من كبار أصحاب الشافعي. حدث عنه البخاري والذهبي، توفي بمكة سنة (219هـ). له ترجمة في "تذكرة الحفاظ" 3/ 413، و"طبقات الشافعية" 1/ 264.

عن ألف شيخ أو أكثر، ما عندي حديث إلا أذكر إسناده[1]. وكتب عن أحمد زهاء - أي: قدر - ألف حديث، وكتب عنه المحدثون وما في وجهه [19] شعرة[2]. وكان يحضر مجلسه زهاء عشرين ألفا، وسمع منه الصحيح نحو تسعين ألفا .

وقال: إنه ألفه من زهاء ستمائة ألف حديث، وجعله بينه وبين الله. وأنه: ما وضع فيه حديثا إلا بعد أن اغتسل بماء زمزم، وصلى خلف المقام ركعتين. وصنفه في ست عشرة سنة. وكان يقول: "أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأعرف مائتي ألف حديث غير صحيح"[3]

ولما قدم بغداد وسمع به أصحاب الحديث؛ اجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث وقلبوا متونها وأسانيدها، بأن جعلوا متن هذا الحديث لإسناد هذا، وإسناد هذا لمتن هذا...وهكذا، حتى أتوا على جميعها، ودفعوها لعشرة أشخاص، لكل واحد عشرة، وأمروهم بإلقائها عليه إذا حضروا مجلسه. ففعلوا. وسأله كل واحد عن عشرته، واحدا بعد واحد، وهو يقول في كل واحد: "لا أعرفه". ثم دعاهم واحدا بعد واحد، وأجاب عن جميعها، وردّ كل متن لإسناده، وكل إسناد لمتنه. فأقر الناس له بالحفظ والفضل، وبُهت الحاضرون وعجِب السامعون[4].

---

(1) "السير" 12/ 407.

(2) قال المؤلف في الطرة: "ألهم الحديث في المكتب وله عشر سنين أو أقل، خرج من المكتب بعد العشر[.........]سبعين ألف حديث أو أكثر سردا، وكان ينظر في الكتاب مرة واحدة فيحفظ ما فيه، وحفظ كتاب ابن المبارك ووكيع، وعرف أصحاب الرأي لما طعن في ست عشرة سنة، ولما طعن في ثمان عشرة سنة صنف كتاب "فضائل الصحابة والتابعين وأقاويلهم"، و"التاريخ الكبير" عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمرة". قلت: وقد ذكر هذا الخطيب في "تاريخ بغداد" 2/ 7، والذهبي في "السير" 12/ 400.

(3) "الكامل" 1/ 131.

(4) الحكاية خرجها ابن عدي في "أسامي شيوخ البخاري" ص53. وصاحب "هدي الساري" ص673.

عمي في صغره، فرأت والدته سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام في النوم، فقال: "يا هذه؛ قد رد الله تعالى على ابنك بصره بكثرة دعائكِ له". فأصبح مبصرا[(1)].

روى عنه مسلم خارج "الصحيح"، وكان يقول له: "دعني أقبل رجلك يا طبيب الحديث، يا أستاذ الأستاذين"[(2)].

وقال له وقد سأله عن علل أحاديث، فأجابه: "لا يبغضك إلا حاسد، وأشهد أن ليس في الدنيا مثلك!". ورئي بين يديه كالصبي بين يدي معلمه، ولولاه ما ذهب ولا جاء[(3)]

ومرض، فعرض ماؤه على الأطباء، فقالوا: "هذا ماء من لا يأكل الدسم"، فصدقهم، وقال: "ما أكلته منذ أربعين سنة". فألحوا عليه في أكله، فأبى. وكان يقلل من الأكل حتى انتهى أكله إلى تمرة أو لوزة في كل يوم من غير ضرر[(4)]. كما في "العهود الكبرى".

وقال: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، ورأيت أني أذب عنه بمروحة، فقال أهل التعبير: أنت تذب عنه الكذب!". ولما مات ودفن؛ سطع من قبره رائحة المسك ودامت أياما.

---

(1) ذكر الحكاية اللالكاني في "شرح السنة" باب كرامة الأولياء، والخطيب في "تاريخ بغداد" 2/ 10، و"تدريب الراوي" للسيوطي ص21.

(2) أخرجه الذهبي في "السير" 16/ 432، وعزاه للحاكم في "تاريخ نيسابور".

(3) قاله الدارقطني: "لولا البخاري لما راح مسلم ولا جاء".

(4) وهو في ذلك رضي الله عنه يأخذ بالأسباب المعينة على العلم، فقد كان العلماء والأولياء يقللون من الطعام، ولم يوصف أحدهم بكثرة الأكل، بل كانوا يعظمون الجوع ويبالغون فيه، حتى قال سهل التستري: "لانرى في القيامة عمل بد أفضل من ترك الطعام"، وقال: "لم ير الأكياس شيئا أنفع من الجوع للدنيا والدين". وقال: "ضع الحكمة والعلم في الجوع، وجعل المصيبة والجهل في الشبع". وفي حكمة لقمان: "يا بني؛ إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخسرت الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة"، وقال سحنون: "لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع شبعا". "تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم" ص289.

وبعث إليه عامل بخارى[1] أن يأتيه ليحدثه في مسجده أو داره، ويحدث أولاده بعد رجوعه من نيسابور إلى بخارى. فامتنع وقال: "لا أُذل العلم، فإن أردت العلم؛ فأتنا أنت!". فأمره العامل بالخروج من بخارى فخرج[2].

وسُمع ليلة بعدما فرغ من تهجده يقول: "اللهم قد ضاقت علي الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك". فما تم الشهر حتى توفي رحمة الله عليه[3]. وما أحسن قول ابن أبي شريف[4]: "ولد في صدق ومات في نور".

وبالجملة؛ فمناقبه أجل من أن تحصى، وقد أُفردتْ بالتأليف.

من مناقب صحيح البخاري

ومن مناقب كتابه هذا: أنه ما قرئ في كرب إلا فُرج، ولا ركب به في مركب فغرق[5] [وعدة أحاديث صحيحه هذا بالمتكرر - على ما حرره في "الفتح" - 7397، والخالص من التكرار: 2602. وعدد مشايخه الذين صرح بهم فيه: 289. شاركه مسلم في 155منهم. ولسيدي رضوان:

(1) هو خالد بن أحمد الذهلي.
(2) الذهبي في "السير" 12/ 453، وعزاه لغنجار في "تاريخ بخارى".
(3) "الكامل" 1/ 132.
(4) محمد بن أبي بكر بن علي بن أبي شريف مسعود بن رضوان المري الشافعي. ولد سنة (822هـ)، وتوفي سنة (906هـ). من تصانيفه: "إتحاف الأخصا بفضل المسجد الأقصى"، و"الدرر اللوامع شرح جمع الجوامع" للسبكي في الأصول. له ترجمة في "شذرات الذهب" (8/ 29)، و"الأعلام" (7/ 56).
(5) قال الشيخ محمد بن أبي جمرة: "قال لي من لقيت من العارفين عمن لقيه من السادة المقر لهم بالفضل: إن صحيح البخاري ما قرئ في شدة إلا فرجت، ولا ركب به في مركب إلا نجت. قال: وكان مجاب الدعوة، وقد دعا لقارئه، وأنشد قائلا:

صحيح البخاري واظبْ عليه ... فما مثله لاشتداد الكروب
فهو المجرب ترياقه ... لدفع سموم أفاعي الخطوب

ينظر "الحطة" ص: 179، ومجلة "دار الحديث الحسنية" (ع5ص50). وقال الحافظ العماد ابن كثير: "وكتاب البخاري يستسقى بقراءته الغمام، وأجمع على قبوله وصحة مافيه أهل الإسلام".

سبعة آلاف لدى البخاري ومائتان قل ولا تمارى
وخمسة تزاد مع سبعين ابن الصلاح قال ذايقينا
يقول ذا بُنَيُّ عبد الله رضوانُ الممنوح فضل الله][1]

ولد - رحمه الله - يوم الجمعة، بعد صلاتها، أو ليلتها، لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال [20] سنة [194هـ][2]. وتوفي ليلة السبت، عند صلاة العشاء من ليلة الفطر من شوال سنة [256هـ][3]، وعمره اثنان وستون سنة إلا ثلاثة عشر يوما، بخرتنك[4]؛ قرية من قرى سَمَرْقَنْد على الصحيح المعروف[5]. والله أعلم.

(1) ما بين المعقوفتين سقط أشار إليه المؤلف في النسخة، أثبته داخل النص.

(2) ما بين المعقوفتين في الأصل غير واضح، والصواب ما أثبته من سنة مولده.

(3) ما بين المعقوفتين في الأصل غير واضح والصواب ما أثبته.

(4) تسمى اليوم: قرية خواجة إبراهيم. وتبعد عن سمرقند بعشرين كيلومترا، ذكره عامر حسن صبري محقق "أسامي من روى عنهم البخاري" معروضا ضمن محاضرات في الحديث للدكتور محمد السرار. وفي "الأعلام" للزركلي (6/ 34) أن قبر البخاري اندثر وبني مكانه قبر آخر.

(5) وهذا هو الصحيح في مكان وفاة البخاري، ولم يخالف فيه أحد إلا ما نقله ابن خلكان في وفياته (4/ 191) من "تاريخ الغرباء" لابن يونس أن البخاري قدم مصر ومات بها، وهذا وهم فاحش من هذا الحافظ إن صح عنه. ذكر هذا الدكتور محمد السرار ضمن محاضرات في الحديث الشريف.

الخاتمة

هذا؛ وفي "سنن المهتدين": "سئل سهل بن عبد الله التستري[1]: أي الناس خير؟. قال: السلطان. قيل: كنا نرى أن شر الناس السلطان. قال مهلا: إن لله في كل يوم نظرتين؛ نظرة إلى سلامة أموال الناس، ونظرة إلى سلامة أبكارهم. فيطّلع الله في صحيفة السلطان، فيغفر له. والخشبات المعلقات على أبوابهم خير من سبعين واعظا".

وعن الفضيل وابن المبارك: "لو كانت لنا دعوة مستجابة لجعلناها للسلطان". يعنيان: لما فيها من صلاح العامة واستقامة الأمر وسلامة ذات البين. أي: إصلاح الفساد بين القوم.

وعن الفضيل: "لو ظفرت ببيت المال؛ لأخذت من حلاله، وصنعت منه أطيب طعام، ودعوت الصالحين وأهل الفضل من الأبرار والأخيار، فإذا فرغوا؛ قلت لهم: تعالوا ندع ربنا أن يوفق ملوكنا وسائر من يلي علينا وجعل إليه أمرنا".

وكان مالك والثوري يقولان: "سلطان جائر سبعين سنة خير من سائبة ساعة من نهار!"

---

(1) أبو عبد الله سهل بن عبد الله، الصالح المشهور، قال ابن خلكان: "لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع". توفي سنة (283)، له ترجمة في "وفيات الأعيان" (1/ 273).

وقال عليه السلام، وقيل: إنه من كلام سيدنا عثمان: "إن الله يَزَع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن". أي: يحبس ويدفع عن التعدي.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا ولا تلى قرآنا ولا صلى؛ إلا ختم ذلك بكلمات. فقلت: يا رسول الله؛ أراك ما تجلس مجلسا ولا تتلو قرآنا ولا تصلي صلاة إلا ختمت بهؤلاء الكلمات؟!. قال: نعم؛ من قال خيرا؛ كنّ طابعا له على ذلك الخير، ومن قال شرا؛ كنّ كفارة له: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك".

وعن سيدنا علي رضي الله عنه وكرم وجهه قال: "من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى؛ فليقل آخر مجلسه حين يقوم: سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين".

اللهم يا عالم الخفيات، ويا باعث الأموات، ويا سامع الأصوات، ويا مجيب الدعوات، ويا قاضي الحاجات، ويا خالق الأرض والسموات؛ أنت الذي لا إله إلا أنت، الجواد الذي لا يبخل، والحليم الذي لا يعجل، لاراد لأمرك، ولا معقب لحكمك، رب كل شيء، وخالق كل شيء، ومالك كل شيء، ومُقدر كل شيء.

نسألك أن ترزقنا علما نافعا، ورزقا واسعا، وقلبا خاشعا، ولسانا صادقا، وعملا زاكيا، وإيمانا خالصا. وأن تهب لنا إنابة المخلصين، وخشوع المخبتين، وأعمال الصالحين، [21] ويقين الصادقين، وسعادة المتقين، ودرجات الفائزين والعابدين. يا أفضل من قصد، وأكرم من سئل، وأحلم من عُصي، ما أحلمك على من عصاك، وأقربك ممن دعاك، وأعطفك على من سألك، لك الخلق والأمر.

إن أطعناك فبفضلك، وإن عصيناك فبحلمك، لا مهدي إلا من هديت، ولا ضال إلا من أضللت، ولا مستور إلا من سترت؛ نسألك أن تهب لنا جزيل عطائك، والسعادة بلقائك، والفوز بجوارك، والمزيد من آلائك، وأن تجعل

لنا نورا في حياتنا، ونورا في مماتنا، ونورا في قبورنا، ونورا في حشرنا، ونورا نتوصل به إليك، ونورا نفوز به لديك، فإنا ببابك سائلون، ولنوالك متعرضون، ولأفضالك راجون .

اللهم اهدنا إلى الحق، واجعلنا من أهله، وانصرنا فيه واعلنا به. اللهم اجعل شغل قلوبنا بذكر عظمتك، وأفرغ أبداننا في شكر نعمتك، وأنطق ألسنتنا بوصف منتك، وقنا نوائب الزمان، وصولة السلطان، ووسوسة الشيطان، واكفنا مؤونة الاكتساب، وارزقنا بغير حساب .

اللهم اختم بالخير آجالنا، وحقق بالرجاء آمالنا، وسهل في بلوغ رضاك سبيلنا، وحسن في جميع الأحوال أعمالنا. اللهم اغفر لنا ولآبائنا كما ربّونا صغارا، واغفر لهم ما ضيّعوا من حقك واغفر لنا ما ضيعنا من حقوقهم. واغفر لخاصتنا وعامتنا، وللمسلمين والمسلمات؛ فإنك جواد بالخيرات .

يا منقذ الغرقى، ومنجي الهلكى، ويا شاهد كل نجوى، ويا منتهى كل شكوى، ويا حسن العطاء، ويا قديم الإحسان، ويا دائم المعروف، ويا من لا غنى لشيء عنه، ولابد لكل شيء منه، ويا من رزق كل حي عليه، ومصير كل شيء إليه؛ إليك ارتفعت أيدي السائلين، وامتدت أعناق العابدين، وشَخَصَت أبصار المجتهدين؛ نسألك أن تجعلنا في كنفك وجوارك، وعياذك وسترك وأمانك .

اللهم إنا نعوذ بك من جَهد البلاء، ودرك الشقاء، وشماتة الأعداء. اللهم اقسم لنا من الدنيا ما تغنينا به عن أهلها، واجعل في قلوبنا من السلو عنها، والمقت لها، والزهد فيها والتبصر بعيوبها، مثل ما جعلت في قلوب من فارقها زهدا فيها، ورغبة عنها. من أوليائك المخلصين، يا أرحم الراحمين .

اللهم لا تدع في مقامنا هذا ذنبا إلا غفرته، ولا هما إلا فرجته، ولا كربا إلا كشفته، ولا دينا إلا قضيته، ولا عدوا إلا كفيته، ولا عيبا إلا أصلحته، ولا مريضا إلا شفيته، ولا غائبا إلا رددته، ولا خلة إلا سددتها، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لنا فيها خير إلا قضيتها؛ فإنك تهدي السبيل، وتجبر الكسير، وتغني الفقير .

اللهم إن لنا إليك حاجة، وبنا إليك فاقة، فما كان منا من تقصير فاجبره بسعة عفوك، وتجاوز عنه بفضل رحمتك، واقبل منا ما كان صالحا، [22] وأصلح منا ما كان فاسدا؛ فإنه لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت. إليك نشكو قساوة قلوبنا، وجمود عيوننا، وطول آمالنا، واقتراب آجالنا، وكثرة ذنوبنا، فنعم المشكو إليه أنت؛ فارحم ضعفنا، واعطنا لمسكنتنا، ولا تحرمنا لقلة شكرنا، فما لنا إليك شافع أرجى في أنفسنا منك؛ فارحم تضرعنا، واجعل خوفنا كله منك، ورجاءنا كله فيك.

نسألك اللهم بكرمك وإحسانك أن تغفر لنا ولوالدينا، ولوالدي والدينا إلى منتهى الإسلام، وأن تغفر لمشايخنا ومشايخهم إلى منتهى الإسلام، وأن تغفر لمن قرأ علينا أو قرأنا عليه واستفدنا منه واستفاد منا، واغفر لنا برحمتك، وكرمك وإحسانك، يا ذا الجود والكرم والإحسان والامتنان.

وأسأل الله الكريم، رب العرش العظيم؛ أن يجعل ما قرأناه من هذا الكتاب لوجهه خالصا، وأن ينفع به كل [من](1) حضر، وأن يمن علينا بالعمل بما فيه، وأن يجعله حجة لنا لا علينا، وأن يختم لنا بخير أجمعين. . .آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدعاء على الكفار

بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم بسطوة جبروت قهرك، وبسرعة إغاثة نصرك، وبغيرتك لانتهاك حرماتك، وبحمايتك لمن احتمى بآياتك؛ نسألك يا الله. يا قريب. يا سميع. يا مجيب. يا سريع. يا جبار. يا منتقم. يا قهار. يا شديد البطش. يا من لا يعجزه قهر الجبابرة، ولا يعظم عليه هلاك المتمردين والملوك الأكاسرة.

أسألك أن تجعل كيد من كاد المسلمين في نحره، ومكر من مكر بهم عائدا عليه، وحفرة من حفر لهم واقعا فيها، ومن نصب لهم شبكة الخداع؛

(1) ما بين المعقوفتين سقط أثبته المؤلف في طرف النسخة.

اجعله يا سيدي مُساقا إليها، ومصادا فيها، وأسيرا إليها

اللهم بحق "كهيعص" اكفنا هم الأعداء، ولقهم الرَّدا، واجعلهم لكل صيب بدا، وسلط عليهم عاجل النقم في اليوم أو غدا. اللهم بدد شملهم. اللهم فرق جمعهم. اللهم قلل عددهم. اللهم اجعل الدائرة عليهم. اللهم أرسل العذاب إليهم. اللهم أخرجهم عن دائرة الحلم، واسلبهم مدد الإمهال، وغُل أيديهم واربط على قلوبهم ولا تبلغهم الآمال. اللهم مزقهم كل ممزَّق مزَّقته من أعدائك انتصارا لأنبيائك ورسلك وأوليائك. اللهم انتصر لنا انتصارك لأنبيائك ورسلك وأوليائك، اللهم انتصر لنا انتصارك لأحبابك على أعدائك. اللهم لا تمكن الأعداء فينا ولا تسلطهم علينا بذنوبنا.

﴿حمٓ ۝١﴾ (سبعا)؛ حُمّ الأمر، وجاء النصر، فعلينا لا ينصرون، ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ حمايتنا مما نخاف، اللهم اعطنا أمل الرجاء وفوق الأمل، يا "هو" (ثلاثا)، يا من بفضله لفضله نسأل؛ أسألك العجل العجل، إلهي الإجابة الإجابة، يا من أجاب نوحا في قومه [23]، يا من نصر إبراهيم على أعدائه، يا من رد يوسف على يعقوب، يا من كشف ضر أيوب، يا من أجاب دعوة زكرياء، يا من قبِل تسبيح يونس بن متّى؛ نسألك بأسرار هذه الدعوات المستجابات أن تتقبل ما به دعوناك، وأن تعطينا ما سألناك؛ أنجز لنا وعدك الذي وعدته لعبادك المومنين .

أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، انقطعت آمالنا وعزتك إلا منك، وخاب رجاؤنا وحقك إلا فيك.

إن أبطأت غارة الأرحام وابتعدت ... فأقرب شيء منا غارة الله
يا غارة الله جدي السير مسرعة ... في حل عقدتنا يا غارة الله
عدت العادون وجاروا ... ورجونا الله مجيرا
وكفى بالله وليا ... وكفى بالله نصيرا

وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، سلام

على نوح في العالمين، استجب لنا آمين، فقطع دابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين.

يا غارة الله حلي عقد ما ربطوا وشتتي شمل أقوام بنا اختلطوا
الله أكبر؛ سيفُ الله قاطعُهم وكلما قد علوا في أمرهم هبطوا

وما أحسن قول الإمام العارف ابن أبي جمرة في الإمام البخاري رضي الله عنهما:

هذا البخاري بحمد الله قد خُتما وليس فيه حديث واحد كُتما
لكن قرأناه أبوابا مهذَّبة مملوّة أدبا موقورةً حِكما
وقد قرعنا به الأسماع فانفتحت من بعد ما ملئت من قفله صمما
وأصبحت كل عين من بصائرنا للحق مبصرة ليست تخاف عما
هذا الكتاب الذي ما شاب قوته ضعف، وصحته ما تعرف السقما
هذا الكتاب الذي قد جاء جوهرة غلت له قيمة لما علت قيما
هذا الكتاب الذي نرجو الشفاء به هذا الكتاب به نستدفع الألما
هذا الكتاب الذي فيه الدواء لنا هذا الكتاب الذي للداء قد حسما
في روضة كان فيها الشيخ ألّفه هبّت له نسمة قد أحيت النسما
لا يستلذ به إلا الخبير، ولا يحلو مكرره إلا لمن فهما
كم قد كشفنا به من كربة عظمت وكم طردنا به من حادث هجما
كأن أسطره من عنبر رُقمت وأن ألفاظه زهر قد ابتسما
ما للبخاري نظير في جلالته ومثله حافظ قد أمسك القلما
قد كان وهْو صغير السن مجتهدا وكان ذا همة قد فاقت الهمما
كأنما صدره بحر يموج ذكا كأنما ذهنه غيث قد ابتسما

شرقا وغربا على حفظ الحديث سرى ... دهرا، ولا عربا أبقى ولا عجما
وألفُ شيخ له في الأرض وهْو على ... تلك المشايخ في علم الحديث سما
كم قلبوا من أسانيد الحديث له ... بالأمس واقتسموها بينهم قسما
فردها مثلما كانت وصححها ... وصار في علمه قدّامهم عَلَما
وما أضر به المكر الذي مكروا ... لكن أقر له بالفضل من علما
وكل حفاظ بغدادٍ له اعترفوا ... لما زكا بالذكا محفوظُه ونما
ومسلم قام في عينيهِ قبّله ... ولم يدعْه البخاري يلثم القدَما
هما الإمامان في علم ومعرفة ... كالبحر حين طما والغيث حين هما
لو قيل: من فاق أهل الأرض قاطبة ... في النقل والنقد والتحرير؛ قيل: هما
فالله يجزيهما خيرا بما فعلا ... والله يجمعنا يوم اللقا بهما
يا سيدي يا رسول الله يا سندي ... يا من بحب له نستوجب النعما
يا من لطيبه منه طيب رائحة ... وحرمة لم تفارق ذلك الحرما
أنت الحبيب الذي طاب الحديث به ... أنت الذي تستقي من بحرك العلما
أنت الذي للعلا فوق السماء علا ... أنت الذي قد سما من فوق كل سما
أنت الذي بك في دنيا وآخرة ... من ربنا نرتجي الأفضال والكرما
أنت الذي لم يخب من أنت شافعه ... أنت الذي بك كل الناس قد رحما
وأنت أفضل من صلى وصام ومن ... سعى وطاف ومس الركن واستلما
يا من صحابته نالوا بصحبته ... فضلا وأمته قد فاقت الأمما
أنت الشفيع ونحن المذنبون وما ... في جمعنا مذنب إلا وقد قدما
وما ذكرنا الذي قد كان من زلل ... إلا نشرنا دموعا خولطت بدما
وقد ختمنا حديثا أنت قائله ... يا من به ربه للرسل قد ختما

فاشفع لنا ولكل المسلمين، فما   شفعت في مسلم إلا وقد سلما[24]

صلى عليك إله العرش ماعسست   سحابة وراءها البرق فابتسما

قاله وكتبه مقيده: العُبيد الحقير، الجاهل القصير؛ جعفر بن إدريس الكتاني، منحه الله دار التهاني. ووافق الفراغ من إخراجه من مبيضته: حادي وعشر شوال الأبرك عام ثلاثة وثلاثمائة وألف.

كملت الختمة المباركة بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

ختم الهمزية

في السيرة النبوية

للبوصيري

تأليف

شيخ الإسلام

أبي المواهب جعفر بن إدريس الكتاني

١٢٤٦هـ - ١٣٢٣هـ

مراجعة وتصحيح

الدكتور الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

ختم همزية الإمام البوصيري

قال شيخ الإسلام، وإمام أئمة الأعلام؛ أبو الفضل وأبو المواهب جعفر بن إدريس بن الطائع الكتاني الإدريس الحسني قدس سره:

حمدا لمن ختم بنبينا سيدنا محمد النبوءة والرسالة، وتممها ببعثته فلا نبوءة ولا رسالة، وصلاة وسلاما على لبنة التمام، ومسك الختام، خيرة خلقه، وسر كونه، وعلى آله وصحبه، وكل من تمسك بهديه.

وبعد؛ فهذه تنزلات عرفانية، ومنح إلهية، ومواهب اختصاصية، برزت من حضرة الربوبية، عند ختم "الهمزية البوصيرية"، ذات المحاسن الكافية، والمراهم المبرية الشافية. جعلها الله خالصة لوجهه الكريم، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلم سليم. نصها:

حاصل ما تقدم: أنه صلى الله عليه وسلم كالجنة؛ فيه ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ومما هو مقرر معلوم، وفي غير ما ديوان مرقوم ومرسوم: أنه صلى الله عليه وسلم - وإن كان بشرا من الأبشار؛ لكنه كالياقوت بين الأحجار:

محمد بشر لا كالبشر   بل هو كالياقوت بين الحجر

ورأت خلقه فلم تر خلقا   مثله، جل ما له أكفاء

بشر خارج عن الجنس كاليا قوت في جنسه له الأضواء

طابق الخلق خلقه والمضمو م المعاني مفتوحها سيماء

فهو داخل في جنس البشر، وخارج عنه باعتبارين مختلفين؛ داخل: باعتبار ذاته الكريمة، وصفاته الطاهرة. وخارج: باعتبار باطنه المقدس، ومعانيه العلية. بشري الظاهر، ملكوتي الباطن. وقد قالوا: إنه كان لا يأتي شيئا من أحوال البشرية إلا تأنيسا لأمته وتشريعا لها. ولذا قال له سيدنا عمر رضي الله عنه: "والله يا رسول الله؛ ما أكلت ولا شربت ولا نكحت إلا لنا".

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

يقول: إن غاية ما يصل إليه علم الخلق فيه صلى الله عليه وسلم أنه: بشر؛ لا إله ولا ملك، وأنه: خير مخلوقات الله كلهم؛ من إنس وجن وملك...وغيرهم. فعلم من ذلك: القصور عن إدراك الكنه في الذات والصفات، وأن أوصافه لو عبر عنها من بدء الدنيا إلى انقضائها لا تحد ولا تحصى، ولو بالغ الأولون والآخرون في إحصاء مناقبه؛ لعجزوا عن استقصاء ما حباه به مولاه الكريم من مواهبه، ولكان الملم بساحل بحرها مقصرا عن حصر بعض فخرها.

وقال أبو المواهب الشاذلي: "رأيته صلى الله عليه وسلم مرة؛ فقلت: يا رسول الله، قول البوصيري: فمبلغ العلم فيه أنه بشر، معناه: منتهى العلم فيك عند من لا علم عنده بحقيقتك أنك بشر، وإلا؛ فأنت وراء ذلك كله بالروح القدسي، والقالب النبوي. قال: صدقت وفهمت مراده!".

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم

يقول: اترك ما قالته النصارى في نبيهم سيدنا عيسى عليه السلام، من نسبة

الإلهية أو النبوءة - على اختلاف آرائهم في ذلك - واحكم بعد ذلك له صلى الله عليه وسلم بما شئت من سوى ذلك من سائر أنواع المدح والثناء، وأوصاف الكمال، وخاصم في إثبات فضائله من شئت، وحز الحكم بما شئت فيه من المدح؛ لكونك حكمت في ذلك، ولا تبال بما تغاليت فيه منه؛ فاحكم منه بما شئت، وأضف إلى حقيقته ماشئت من علو منزلة ورفعتها، وإلى مبلغه في الرتب الشريفة، والمناصب المنيفة ما شئت من تعظيم وتبجيل، فإنه لا حجر عليك، وأنت صادق فيما تمدحه به من ذلك.

قال ابن مرزوق: "وما أباح من مدْحه بما شاء المادح من أنواع المدح، ومن نسبة ما شاء من الشرف إلى ذاته، وما شاء من العظم إلى مقداره؛ أمر لا يجهل، وعنه - في كل حال - لا يُعدل؛ لأن مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ أحد مداه، ولا يصل منتهاه"...

كيف والمحاسن بأسرها، والفضائل بأجمعها؛ تقاسمها ظاهره وباطنه صلى الله عليه وسلم؟!، قال:

محمد تقاسم المحاسن	بأسرها ظاهره والباطن
ظاهره: حاز الجمال جملة	مِن ذاك كل حَسن أجله
فلا جميل إلا وهْو خاضع	لحسنه إذ هو فيه ساطع
منه استعاروا حلل الجمال	فاعترفوا بأنهم مجال
فالشمس والقمر ياتيان	ضريحه فيه مسلمان
عند الطلوع والغروب يخضعان	ويشهدان نوره فيسطعان
وباطن الرسول: بالفضائل	ملأه الله وبالفواضل
فنال منه الفضل كل فاضل	ومنه أفضلية الأفاضل
قد ناسب الظاهر منه الباطن	وأبدت المحاسن المحاسن

فحاز ظاهره الجمال كله، كما حاز باطنه الكمال كله، فكمل الله له

المحاسن خَلقا وخُلقا، وقرن له بين جميع الفضائل الدينية والدنيوية نسقا، فمن جماله ظهر كل الجمال، فهو أجمل من كل أجمل، ولذا يخضع له كل جميل في الوجود. ومن كماله تكون الكمال؛ فهو أكمل من كل أكمل، ولذا عرف بالتلذذ بالخضوع له كل أكمل:

فهْو الذي تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم
منزه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم

يقول: هو الذي كمل الله باطنه في الكمالات، وظاهره في الصفات، ثم اختاره خالق الإنسان حبيبا ليس في محاسنه شريك من البشر، وجوهر حسنه لا يقبل القسمة بينه وبين غيره، كما أن الجوهر الفرد الذي يُتوهم في الجسم، ويقول المتكلمون: إن الجسم مركب منه - غير منقسم بوجه من الوجوه، لا بالفرض ولا بالوهم. ومن كان موصوفا بكمال الصفات باطنا وظاهرا؛ كان محبوبا. ولابن رشيد البغدادي:

صدقت؛ لقد حاز الحبيب مناقبا تقاصر عن إحصائها كل مستقص
صحابته لم تحص ما خصه به إله البرايا؛ ليت شعري من يحصي؟!

وله أيضا:

أخلاي؛ من يحصي مديح محمد وفي مدحه كتب من الله تقرا؟!
أيُمدَح من أثنى الإله بنفسه عليه. فكيف المدح من بعدُ ينشا؟!

غيره:

محمد المصطفى المختار من مضر نبي صدق له قدر وتبجيل
ماذا عسى مادح يثني عليه به وجاء في مدحه كُتْب وتنزيل؟
وفي الزبور أتى مدح يصدقه ووافق المدح توراة وإنجيل
يا مادحين حبيب الله دونكمو ما شئتموا في معاني مدحه قولوا
ماذا أقول بوصفي في الرسول وقد أثنى عليه الإله الواحد الحكم؟

ورئي ابن الخطيب بعد موته في المنام، فقيل له: "ما فعل الله بك؟". فقال: "غفر لي بقولي:

يا مصطفى من قبل نشأة آدم والكون لم تفتح له أغلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعدما أثنى على أخلاقك الخلاق؟!"

ولابن الخطيب الأندلسي:

مدحَتْك آيات الكتاب، فما عسى يثني على علياك نظم مديحي؟!
وإذا كتاب الله أثنى مفصحا كان القصور قصارى كل فصيح

وفي همزية ابن زكري:

أصل مدحكمو اعتراف بعجز فإذا ما اعترفت طال الثناء
كيف نحسن مدح من ملئ الوحي بمدحه آيهُ غراء
كتُب الله بالغت في مزايا ه بما ليس يبلغ البلغاء
ماذا عسى الشعراء اليوم تمدحه من بعد ما مدحت "حاميم تنزيل"؟!

ولابن جزي:

أروم امتداح المصطفى فيصدني قصوريَ عن إدراك تلك المواهب
ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر ومن لي بإحصاء الحصا والكواكب؟!
ورب سكوت كان فيه بلاغة ورب كلام فيه عتْب لعاتب

ولسيدي الحسن بن الجبس:

آيات خير المرسلين محمد نور الهدى بهر العقول سناها
من حين مبعثه الوجود لوقتنا هذا يعددها فما أحصاها
من ذا يروم لمجد أحمد منتهى وبمجده كل الكمال تناها؟!

ورئي ابن الفارض في النوم؛ فقيل له: "لم لم تمدح النبي صلى الله عليه

وسلم؟ ". أي: بالتصريح، وإلا؛ فنظمه في الحقيقة إما في الحضرة الإلهية أو فيه صلى الله عليه وسلم. فقال:

أرى كل مدح في النبي مقصرا وإن بالغ المثني عليه وأكثرا
إذا الله أثنى بالذي هو أهله عليه؛ فما مقدار ما يمدح الورى؟!
أعيى الورى فهم معناه فليس يُرى للقرب والبعد فيه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بُعُد صغيرة وتكل الطرف من أمم

يقول: إن الخلق أعياهم تفصيل أحواله السَنية، وصفاته العلية، فليس يرى من الخلق المفكرين في إدراك تلك الأحوال، الرائمين طلب الإحاطة بها - سواء عند القرب منه، أو عند البعد - غير منقطع عن إدراك ذلك المرام، ومصدود عن بلوغ ذلك المقام.

أو: أعياهم فهم حقيقة ما يمدحونه به، فقصرت عباراتهم عن ذلك؛ لأن ما لا يفهم لا يعبر عنه، فليس يُرى منهم عند القرب منه أو عند البعد لمن لم يشاهده غير منقطع.

ثم شبه عدم الإحاطة بكنه معناه - مع القرب والبعد - بالشمس، فإنما تظهر للعينين من البعد صغيرة، وإن كانت في نفس الأمر أعظم من الأرض بكثير على ما تقرر. وهي من قرب تعيي العين عن الإحاطة بجملتها؛ لعظم جرمها. أو من أجل قوة شعاع نورها، فإنه يرد البصر خاسئا كليلا. وهذا مثل قوله أيضا:

إنما مثلوا صفاتك للنـ ـناس كما مثل النجومَ الماءُ

لمح به إلى ما علم من حال الأنبياء أنهم نعتوا صفاته الكريمة لأممهم، وصوروها لهم، لكنهم مع ذلك لم يصلوا لتصوير كنهها؛ لعدم إحاطتهم به، وإنما غاية ما وصلوا إليه: تصوير صورها الحاكية لمباديها، كما أن الماء لم يحك من النجوم إلا مجرد صورها لا غير. وإذا عجز الأنبياء - مع كمالهم الأكبر - عن إدراك حقائق صفاته العلية؛ كان غيرهم أعجز.

أو: إن الواصفين لشمائله وإن كثروا الأوصاف، وتفننوا في إيرادها على أبلغ أنواع البلاغة، وأكمل قوانين الفصاحة؛ فغاية ما وصلوا إليه: أن أدركوا لوائح منها، وعجزوا عن إدراك شيء من حقائقها. كما أن غاية من يرى النجوم في الماء: أنه يدرك مبادي أوصافها، ويعجز عن إدراك حقائقها:

وحزت جمالا حير الخلق وصفه وسرا خفيا أنبت العشب والمرعى
له صفة ما حدها قط واصف

هذا سيدنا علي وسيدنا أنس رضي الله عنهما، وهما من هما في العلم والمعرفة، بعد أن عددا بعض البعض من صفات جماله، ونعوت كماله صلى الله عليه وسلم؛ اعترفا بالعجز عن استقصاء محاسن هذا الجناب الأرفع، ورجعا إلى القصور عن إدراك كمالات هذا الشفيع المشفع، إشارة إلى أن الجناب المذكور في غاية العلو ونهاية الارتفاع، فمن طاوله ورام استقصاء كمالاته؛ عجز وانقطع.

وبالجملة؛ فكل غلو في حقه تقصير، ولا يبلغ البليغ إلا قليلا من كثير. كيف وآيات الكتاب مفصحة عن علاه بما يبهر العقول، ومصرحة من صفاته بما لا يستطاع إليه الوصول؟.! بل قيل لأبي نواس عفا الله عنا وعنه: "لم لم تمدح عليا الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم - وهو أكمل أهل زمانه علما وعملا؟". فأجاب بقوله:

قيل لي: أنت أحسن الناس طرا في فنون من المديح النزيه
لك من جيد القريظ صنيع يثمر الدر من يدي مجتنيه
فعلى م تركت مدح ابن موسى والخصال التي تجنس فيه؟
قلت: لا أستطيع مدح إمام كان جبريل خادما لأبيه!

وقد نص العلماء - رضي الله عنهم - على أن حقيقة رسول الله صلى الله عليه وسلم سر لطيف من أسرار الحق تعالى، لا يطلع عليه في هذه الدار نبي

مرسل ولا ملَك مقرب، وإنما أدرك المؤمنون من ظاهر صورته المحمدية. فالخلق عاجزون عن إدراك جماله وعقله وجاهه، وعلومه وعبوديته وخوفه ورجائه، وزهده وتواضعه، وشفقته ورحمته، وجوده وسائر صفاته الظاهرة والباطنة. . .لأن عقولنا لا تحتمل ذلك.! وقد قال صلى الله عليه وسلم: "إني لأتكلم على قدر عقولكم".

وقالوا: إنه صلى الله عليه وسلم كنخلة اجتمعت فيها أقوات الخلق، أصلها في الأرض وفرعها في السماء، وهي مثمرة من أرضها إلى منتهى فرعها، وكل واحد من الخلق في أخذ قوتِه منها على حسب قُوته، ونهاية طاقته، ورأسها متمنع عن الجميع؛ لامتناع وصول البشر إلى السماء.

وقد قال صلى الله عليه وسلم لسيدنا أبي بكر: "يا أبا بكر؛ والذي بعثني بالحق لم يعرفني حقيقة غير ربي"، وفي ذلك رحمة بالعباد؛ إذ لو ظهر لهم كمال مهابته وجلاله؛ لتلاشوا واضمحلوا، ولم يقدروا على التلقي منه.

قال الإمام الخروبي: "ما أدرك الناس من حقيقة أمره، وخفي سره؛ إلا على قدر عقولهم البشرية. فما ظهر لهم من ذلك؛ فهو نعمة عليهم ليعرفوا قدره، ويعظموا أمره. وما خفي عنهم منه؛ فهو رحمة من الله بهم، إذ لو ظهر لهم مع عدم قيامهم بالحقوق؛ لكان فتنة لهم، والله تعالى أرسله رحمة للعالمين. فكانت النعمة فيما ظهر، والرحمة فيما استتر. والله الموفق"...أهـ.

كنهك الأحمدي سر مصون   عن علاه تقاصر العلماء

قصر العقول فالجناب رفيع   من يطله له أعجزته السماء

وارض بالعجز غاية؛ فقديما   عجزت عن وصوله الشعراء

فلم يحط، ولا يحيط بمعرفته مخلوق على الإطلاق، بل معرفته على ما هو عليه مما انفرد به الملك الخلاق...

وكيف يدرك في الدنيا حقيقته   قوم نيام تسلوا عنه بالحلم؟!

يقول: بعيد أن يدرك في الدنيا حقيقته صلى الله عليه وسلم قوم موصوفون

بأنهم: نيام تسلوا بنومهم عن النظر في حقيقته - أي: تركوها عن طيب نفس منهم؛ لزهدهم في الارتقاء إلى معارج الكمال من الطرق الأخروية، وركونهم إلى الشهوات الدنيوية - وقد قال سيدنا أويس القرني للصحابة - رضي الله عنهم - لما لقيهم: "ما رأيتم من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ظله!". وفي رواية: "ما أدركتم" بدل: "ما رأيتم". وفي أخرى: "ما رأيتموه إلا كالسيف في غمده". قالوا: "ولا ابن أبي قحافة؟". قال: "ولا ابن أبي قحافة!"

ولما ذكر هذا الكلام عند العارف الأكبر سيدي أبي الحسن الشاذلي - رضي الله عنه - قال: "صدق أويس رضي الله عنه؛ إن عليا كان مقامه: إدراك نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعثمان كان مقامه: إدراك قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعمر كان مقامه: إدراك عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأبابكر كان مقامه: إدراك روح رسول الله صلى الله عليه وسلم. وحقيقته صلى الله عليه وسلم سر مكنون لا يطلع عليه إلا الله!". وفي تائية الشيخ سيدي محمد الحراق:

فكيف يرى خلق حقيقة أحمد ولكن يرى ظلا من البشرية

وهذا هو الذي أفصح عنه القطب مولانا عبد السلام بقوله: "وله تضاءلت الفهوم؛ فلم يدركه منا سابق ولا لاحق". أي: فيه اضمحلت الإدراكات؛ فلم يفهمه ولم يعرفه من بني آدم الأنبياء والأولياء الكمل.

والموجب لذلك هو: أن روحه عليه الصلاة والسلام لما كانت كاملة في الكمالات الباطنية؛ فكذلك ذاته صلى الله عليه وسلم كاملة في الكمالات الذاتية كما في "الإبريز". وقد قال أبو يزيد: "لو بدا للخلق من النبي صلى الله عليه وسلم ذرة؛ لم يقم لها ما دون العرش!"

قال القونوي: "ولما خص الله نبيه بأعلى المقامات في القرب، وأرفع الدرجات في المعرفة؛ كان سره أعظم الأسرار، وقدره فوق كل الأقدار؛ فمن دونه لا يطيق حمل ذرة من أسراره. قال صلى الله عليه وسلم: لي مع الله

وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل. إلا أنه كان ماسكا للأرواح؛ فلم يقع فيه افتتان. ولولا أن الله ستر جمال صورته بالهيبة والوقار، وأعمى عنه آخرين؛ لما استطاع أحد أن ينظر إليه بهذه الأبصار الدنيوية الضعيفة، ولافتتنوا به كما افتتن صواحب يوسف بيوسف عليه السلام حتى قطعن أيديهن!". ويرحم الله القائل:

ما حسن يوسف النبي الكامل إلا كشطر من بحور الكامل

لو لم يك الإله ذو الجمال كسا الجمال منه بالجلال

ما استطاعت العين إليه تنظر ولرأت ما ليس منه تقدر

وما أحسن قول بعضهم: "لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم، وإلا؛ لما أطاقت أعيننا النظر إليه". وقال الورتجيبي أثناء كلام: "فلا يراه صلى الله عليه وسلم أحد إلا ويرى نور الصمدية ينتشر من بشريته، لكنه كان محجوبا عن الأغيار: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.[الأعراف: 198]..."أهـ.

ولهذا؛ يحصل لرائيه صلى الله عليه وسلم من العلوم والمعارف والأسرار ما لا يحصل برؤية غيره، ولقد كانت الجلف من الأعراب تأتيه، فبمجرد مثولهم بين يديه وشهودهم له؛ ينطقون بما لا يهتدي إليه أكابر العلماء من الحقائق والحكم.

ولذا كان الشيخ أبو العباس المرسي - رضي الله عنه - يقول: "إنه ليأتيني الأعرابي يبول على ساقه، فأوصله إلى الله من حينه!". فكيف بمقام الرسالة، فكيف بمقام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم؟.!

ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم: صاحب الوجه المليح، وصاحب الوجه الجميل، وقطب الجمال، وتاج الجمال، وأجمل خلق الله، وأحسن خلق الله، ودرة تاج الكون، وواسطة العقد، وهلال الشرف، ونور العباد، وشمس المعارف، وبدر اللطائف، وبدر الكمال، وبدر التمام. ومن ثم قال الخارجون لملاقاته حين رجوعه من تبوك:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وما أحسن قول حسان - رضي الله عنه - في وصفه صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه ورجع إلى قومه، فقالوا له: "صف لنا ما رأيت". وبذلوا له مالا على أن يهجوه بما يناسب بغضهم فيه:

لما نظرت إلى أنواره سطعت وضعت من خيفتي كفي على بصري
خوفا على بصري من حسن صورته فلست أنظره إلا على قدر
لَنوار من نوره في نوره غرقت والوجه منه طلوع الشمس والقمر
روح من النور في جسم من القمر كحلة نسجت في الأنجم الزهُر

فقالوا له: "ما هذا؟!". فقال: "هو الذي رأيت، وعار على الإنسان أن يصف الكذب!"

ولسيدي عبد الرحيم البُرَعي:

نبي ما رأته الشمس إلا وكلت عن محاسنه حياء
هذا هو المختار والبدر الذي كل البدور خضعن تحت هلاله
ما أن له في العالمين مماثل كلا ولا في الكون من أشكال

غيره:

بهرت بالحسن أهل الحسن فانبهروا حتى كأنهمُ في الحي ما ظهروا
وصرت قطب جمال فاستمد سنى من وجهك النيران: الشمس والقمر

غيره:

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

غيره:

لم لا يضيء بك الوجود وليله ... فيه صباح من جمالك مسفر؟!
فبشمس حسنك كلُّ يوم مشرق ... وببدر وجهك كل ليل مقمر

غيره:

متى يبد في الداج البهيم جبينه ... يلح مثل مصباح الدجى المتوقد
من كان أو من قد يكون كأحمد ... نظاما لحق أو نكالا لملحد

غيره:

أفضل الخلق أحسن الناس خلقا ... زانه الله؛ ما أشد احتشامه!
إن جلا في الدجى هلال جبين ... وعن الوجه إن أماط لثامه
أخجل الشمس في الضحى وأعار الـ ... ـبدر في الليل نوره وتمامه

غيره:

فلو سمعوا في مصر أوصاف خده ... لما بذلوا في سوم يوسف من نقد
وصحب زليخا لو رأين جبينه ... لآثرن بالقطع الفؤاد على الأيدي!

ولمولاتنا عائشة:

وأجمل منك لم تر قط عيني ... وأكمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب ... كأنك قد خلقت كما تشاء

تقول: كأن الله خيره؛ فسوى خلائقه الحسان كما اشتهاها:

كأنه وهو فرد في جلالته ... في عسكر حين تلقاه وفي حشم

يقول: إنه من شدة الرفعة، وكثرة الجلالة؛ يراه الرائي فيضطر إلى تعظيمه، ولا يجد محيدا عن إجلاله؛ كأنه ملك وسط عساكره وجنوده وهي محدقة به، وذلك أن ما حوته السرائر على الأسرة يلوح:

لو لم تكن فيه آيات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر
لتوراة موسى فاسألوا عن محمد تقول لكم: ما للحبيب مثيل
لكل حبيب منزل ومكانة ولكن ما مثل الحبيب رسول!

وفي همزية البوصيري:

فتنزه في ذاته ومعانيه استماعا إن عز منها اجتلاء
واملأ السمع من محاسن يمليها عليك الإنشاد والإنشاء
كل وصف له ابتدأت به استوعب أخبار الفضل منه ابتداء

وفي همزية ابن زكري:

فاعتبر في جلاله وتنزه في جماله؛ تستفد ما تشاء

وما ثبت في الصحاح من جماله وتناسب أعضائه في حسنها، وسلامته من العيوب، ونزاهته من الأقذار، وبراءته من كل نقص ووصف يشين؛ أمر يداني الضروريات، بل هو من البديهيات.

وقد ذكر العلماء أن: من تمام الإيمان به صلى الله عليه وسلم؛ الإيمان بأن الله عز وجل خلق بدنه الشريف صلى الله عليه وسلم على وجه لم يظهر قبله ولا بعده بدن آدمي مثله حسنا وكمالا، وبهاء واعتدالا.

وسر ذلك: أن محاسن الذوات دليل على ما بطن فيها من بدائع الأخلاق، وجلائل الصفات، ونبينا صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية التي لم يصل إليها غيره في كل ذينك. وفي الحديث عن سيدنا أنس وسيدنا علي - كرم الله وجهه ورضي عنهما: يقول ناعته: "لم أر قبله ولا بعده مثله". قال في "شعب الإيمان": "وحسن يوسف - عليه السلام - وغيره؛ جزء من حسنه صلى الله عليه وسلم؛ لأنه صورة (...)" أهـ.

فأعطى الله سيدنا يوسف شطر الحسن كما ورد في الحديث، والمراد به: الجزء لا النصف، وأعطي الحسن كله لنبينا صلى الله عليه وسلم، فحسنه

واحد في الوجود لا ثاني له، وحقيقة الحسن الكامل كملت فيه وحده. . .أهـ.

ولقد صح لمحبيه أن ينشدوا فيه قول ابن الفارض:

كملت محاسنه فلو أهدى السنا ... للبدر عند تمامه لم يُخسف

وعلى تفنن واصفيه بوصفه ... يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وإنه لحقيق بقول القائل:

فما بلغت كف امرئ متناولا ... من المجد إلا والذي نال أطول

ولا بلغ المهدون في القول مدحة ... ولو حذقوا؛ إلا الذي فيه أفضل

وحق لهم - والله - أن يزدحموا على شهود تلك الطلعة المباركة، ويتسابقوا إلى رؤية ذلك الوجه الذي هو معدن كل خير وبركة، ويقول قائلهم تولها بين جماله وجلاله:

أبرق بدا من جانب الغَوْر لامع ... أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقع؟

نعم؛ أسفرت ليلى فصار بوجهها ... نهار به نور المحاسن ساطع

ولما تجلت للقلوب تزاحمت ... على حسنها للعاشقين مطامع

لطلعتها تعلوا البدور ووجهها ... له تسجد الأقمار وهْي طوالع

تجمعت الأهواء فيها وحسنها ... بديع، لأنواع المحاسن جامع

ومن أجل هذا كله؛ سأل أولوا العزم من الرسل؛ كإبراهيم وموسى، الحق جل وعلا أن يجعلهم من أمته.! وللعلامة ابن زكري:

تمنى المرسلون لأن يكونوا ... من امته ليزدادوا اقترابا

لقد فزنا بتخصيص عظيم ... بأن حزنا لملته انتسابا

فكونوا عارفين بما منحتم ... ووالوا الشكر لله احتسابا

وللقاضي عياض:

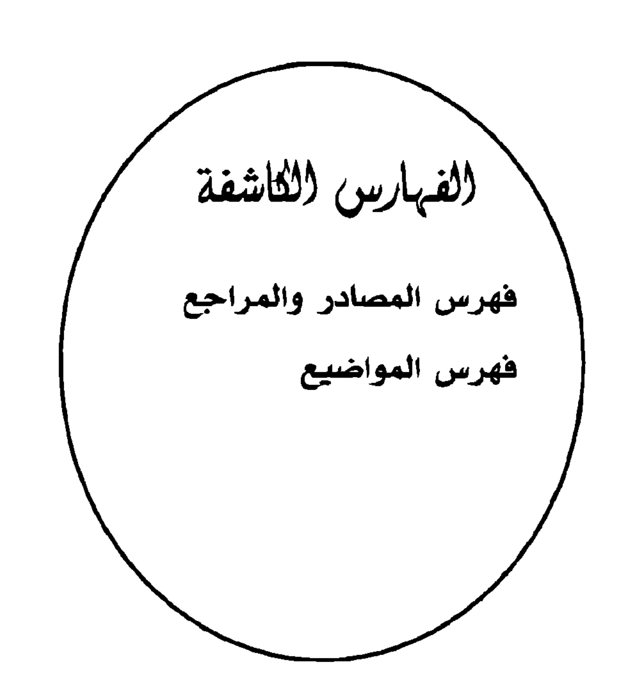
ومما زادني فرحا وتيها ... وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك: يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبيا

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم".

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

انتهى


الفهارس الكاشفة
فهرس المصادر والمراجع
فهرس المواضيع

فهرس المصادر والمراجع

1 - القرآن الكريم.

2 - إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع لعبد السلام بن سودة تحقيق محمد حجي دار الغرب الإسلامي بيروت.

3 - إرواء الغليل بتخريج أحاديث منار السبيل لناصر الدين الألباني ط1 المكتب الإسلامي1979م.

4 - أحكام الجنائز وبدعها للألباني طبع المكتب الإسلامي (د-ت).

5 - إرشاد الساري شرح صحيح البخاري للقسطلاني (ت923هـ) دار الفكر (د-ت).

6 - الأعلام لخير الدين الزركلي دار العلم للملايين بيروت 1984م.

7 - أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض للمقري. اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي (المغرب-الإمارات).

8 - الابريز في مناقب الشيخ سيدي عبد العزيز الدباغ لأبي العباس أحمد بن مبارك اللمطي الفاسي.

9 - البيان والتبيين للجاحظ تحقيق محمد عبد السلام هارون طبعة دار الفكر (د-ت).

10 - البداية والنهاية لابن كثير طبعة دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.

11 - تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر (ت852) دار الفكر الطبعة الأولى

1404/ 1984م.
12 - تقريب التهذيب لابن حجر تعليق عبد الوهاب عبد اللطيف طII دار المعرفة بيروت 1975م.
13 - تدريب الراوي لجلال الدين السيوطي (ت-94) تحقيق د.أحمد هاشم ط1 دار الكتاب العربي بيروت 1405-1985م.
14 - بهجة النفوس لإبن أبي جمرة دار الفكر (د-ت).
15 - تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم لبدر الدين الكناني دار الفكر (د-ت).
16 - الترغيب والترهيب للمنذري (ت656) المطبعة المنيرية بمصر.
17 - ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (ت544) تحقيق سيد أحمد أعراب نشر وزارة الأوقاف المغربية لسنة 1405هـ/ 1983م.
18 - تخريج الإحياء للعراقي (ت806) طبع الحلي بمصر 1356هـ.
19 - تذكرة الحفاظ للذهبي (ت748) دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
20 - تفسير ابن عطية الأندلسي طII وزارة الأوقاف المغربية مطبعة فضالة المحمدية سنة1975م.
21 - تفسير ابن كثير الدمشقي دار الفكر بيروت 1981م.
22 - جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر(ت- 463) المطبعة المنيرية (د-ت).
23 - جامع الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى مطبعة الدلهي الهند (د-ت).
24 - حسن المحاضرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة دار الفكر (د-ت).
25 - حياة الصحابة للكاندهلوي دار الفكر بيروت طبعة 1987م.
26 - حلية الأولياء لأبي نعيم مطبعة السعادة بمصر (1349هـ).
27 - الدواهي المدهية للفرق المحمية لجعفر بن إدريس الكتاني تحقيق الدكتور حمزة الكتاني تخريج وتعليق الشيخ حسن الكتاني الطبعة الثانية دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1426هـ/ 2005م.
28 - الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة لمحمد بن جعفر الكتاني (ت1345) دار البشائر الإسلامية ط4 1406هـ/ 1986م.
29 - الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي طبعة دار الفكر (د-ت).

30 - سلسلة الأحاديث الصحيحة لناصر الدين الألباني طبعة المكتب الإسلامي بيروت.
31 - سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني طبع المكتب الإسلامي بيروت (د-ت).
32 - سنن أبي داود الدار المصرية اللبنانية لسنة 1408هـ/ 1988م.
33 - سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار الكتب العلمية بيروت.
34 - سنن النسائي لأبي عبد الرحمان أحمد بن شعيب ط1 دار المعرفة بيروت 1404هـ/ 1991م.
35 - سنن الدارمي (ت255) الاعتدال بدمشق 1349هـ.
36 - سنن الدارقطني (ت385) طبع بالهند.
37 -سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي ط/السابعة تحقيق جماعة من الباحثين مؤسسة الرسالة (1990م).
38 - شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي بتخريج الألباني طبعة المكتب الإسلامي (د-ت).
39 - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية الشيخ محمد بن محمد مخلوف دار الفكر (د-ت).
40 - الشفا في التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض نشر وزارة الأوقاف المغربية1982م.
41 - شروط الأئمة الستة لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي (ت507) دار كتب علوم الحديث.
42 - شرح معاني الآثار للطحاوي (ت321) مطبعة المصطفائي في الهند سنة 1300هـ.
43 - صحيح البخاري (ت256) اعتمدت في نقل نصوصه النسخة المطبوعة مع فتح الباري للحافظ ابن حجر تحقيق عبد العزيز بن باز دار الفكر (د-ت).
44 - صحيح مسلم (ت261) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار الطباعة (د-ت).
45 - صحيح ابن حبان طI دار الكتب العلمية بيروت 1987م.
46 - طبقات الحفاظ للسيوطي (ت944) طI دار الكتب العلمية بيروت

1983م.
47 - طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي طI المطبعة الحسنية المصرية بكفر الطماعين.
48 - فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر تحقيق عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر (د-ت).
49 - كشف الخفا ومزيل الالتباس عما اشتهر عن الأحاديث على سنة الناس للعجلوني المكتبة العصرية صيدا.
50 - الكشاف للزمخشري طبعة دار الفكر (د-ت).
51 - لطائف الإشارات للإمام القشيري تحقيق الدكتور إبراهيم بسيوني طII 1981م مركز تحقيق التراث الهيئة المصرية العامة للكتاب.
52 - لسان الميزان لابن حجر دار الفكر بيروت لبنان (د-ت).
53 - المعجم المفهرس تأليف جماعة من المستشرقين ونشره د.أي ونسنك مكتبة بريل ليدن.
54 - مقدمة ابن الصلاح (ت643) دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى 1416هـ/ 1995م.
55 - محاولة إدراك معنى شرط الشيخين د.إبراهيم بن الصديق مجلة دعوة الحق عدد347.
56 - مستدرك الحاكم أبي عبد الله (ت405) دار المعرفة بيروت لبنان (د-ت).
57 - مسند الإمام أحمد طI دار صادر المكتب الإسلامي بيروت.
58 - المقاصد الحسنة للسخاوي تحقيق عبد الله محمد الصديق طبعة دار الكتب العلمية.
59 - المعجم الصغير للطبراني (ت360) مطبعة الأنصاري في دلهي.
60 - المعجم الكبير للطبراني تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي.
61 - المعجم الأوسط للطبراني مكتبة المعارف بالرياض (د-ت).
62 - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي (ت807) طبع القدسي 1253هـ.
63 - هدي الساري مقدمة فتح الباري لابن حجر.

فهرس المحتويات

ختم الهمزية في السيرة النبوية

هذا الكتاب

هذا الختم الذي بين يدي القارئ، يُعدّ من ضمن الختمات التي ألقاها الشيخ أبو المواهب جعفر بن إدريس الكتّاني - رحمه الله تعالى - لصحيح البخاري رضي الله عنه، وهي ختمة تضمنت عدة أمور:

- شرح مفردات آخر باب من أبواب البخاري.
- شرح آخر حديث من أحاديث البخاري.
- فضل علم الحديث.
- ترجمة الإمام البخاري.
- ثم الخاتمة في الدعاء، وأطال فيها صاحبها بما يدل على روح إسلامية قوية واعتناء بالواقع خاصة فيما يتعلق بالكفار الذين كانوا يحيطون بالمغرب وينسجون الأفخاخ من أجل اصطياده واحتلاله.

وفي كل باب من تلك الأبواب، يستقدم المؤلف ما يتعلق بها من المباحث العقيدية، والفقهية، والاصطلاحية، والنحوية، واللغوية، فهو كالبستان فيه ما لذ وطاب من العلوم والحكم والفوائد، مما يستفيد منه العالم وطالب العلم، ويجد فيه ضالته من شرح آخر حديث من أحاديث صحيح البخاري.

وقد ذيّلنا هذا الكتاب بختم للمؤلف - رضي الله عنه - على همزية الإمام محمد بن سعيد البوصيري ثم المصري قدس سره، وهي ختمة مباركة، شرح فيها مؤلفها أبياتاً من البردة للبوصيري نفسه، فيها من أفانين البلاغة، والاستشهادات الشعرية، والتفنن في المدح النبوي، والتلذذ في استخراج الكمالات المحمدية، بلسان جامع، بحيث يحق أن يتغنى بها في المجامع، وتتلى على رنات المسامع، ما يقف عليه القارئ، ويتلمس لطفه وعمقه في آن واحد.

